الباب العاشر

طراز العصر الصفوى

(٩٠٧ هـ – ١٥٠٢ م) حتى (١١٣٥ هـ – ١٧٢٢ م)

ظهرت فى إيران فى بداية القرن السادس عشر أسرة إيرانية قوية مركزها مدينة أردبيل بشمال غرب إيران، وينتمى مؤسس هذه الأسرة الشاه «إسماعيل» إلى ولى فارسى يدعى الشيخ « صفى الدين » وعنه أخذت هذه الأسرة اسمها . تمكن الشاه « إسماعيل» فى عام ٩٠٨هـ – ١٥٠٢م من هزيمة قبيلة الشاه البيضاء التركمانية واتخذ تبريز عاصمة له ، ثم استولى بعد ذلك على هراه بعد هزيمته للسلطان الأزبك الشيبانى حوالى عام ٩١٦هـ ، (١٥١٠ م) ونجح بعد ذلك فى السيطرة على شيراز وسمرقند وبخارى ، وبذلك تمت له السيطرة على إيران وأصبح المذهب الشيعى فى عهده المذهب الرسمى للدولة الإيرانية لأول مرة .

نقل خليفته الشاه « طهماسب » (٩٣١ – ٩٨٤هـ) (١٥٢٤ – ١٥٧٦م) العاصمة من تبريز إلى قزوين فى عام ٩٥٥هـ (١٥٤٨م) ، ليتجنب هجوم الأتراك العثمانيين نصيرى المذهب السنى على العاصمة القريبة من الحدود التركية . ولكن الأتراك تمكنوا فى النهاية من الاستيلاء على الجزء الجنوبى من أملاك الأسرة الصفوية ، مما اضطر الصفويين إلى الارتداد إلى داخل حدود إيران الطبيعية .

نقلت العاصمة إلى أصفهان فى عهد الشاه عباس الأول (٩٩٦– ١٠٢٩هـ) (١٥٨٦ – ١٦٢٦ م) وكانت من أجمل مدن الشرق الأوسط . ولقد استطاعت الدولة العثمانية فى عهد خلفائه أن تحتل العراق التى كانت جزءاً من الإمبراطورية الصفوية وكان ذلك فى عام ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) ، وسرعان ما دب الضعف إلى الأسرة الصفوية فى أواخر عهدها وسقطت أصفهان فى عام ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م) فى يد الأفغان الذين تمكنوا من هزيمة الشاه حسين ونهب مدينة أصفهان . ولقد استمر بعض الأمراء الصفويين يحكمون – والى عشر سنوات بعد سقوط الدولة الصفوية فى إقليم « ما زاندران » جنوبى بحر

قزوين . وتوالى على حكم إيران فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى دولة الأفشاريون ثم الدولة الزندية ثم الدولة القاجارية . ولقد استمر حكم هذه الأسرة الأخيرة لإيران عدة قرون ، إلى أن تمكنت الأسرة الحالية البهلوية من الاستيلاء على الحكم فى عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) .

ازدهرت الثقافة والفنون الإيرانية فى عهد الصفويين وظهرت حركة فنية كبيرة فى العاصمة تبريز ، وما لبث هذا النشاط أن انتقل إلى قزوين عندما صارت العاصمة ، وتعرف هذه الفترة بالحكم الصفوى الأول . وفى الفترة الصفوية الثانية انتقل النشاط الفنى إلى أصفهان بعد أن صارت مقر الحكم الرسمى فى عهد الشاه عباس ، وصارت من أشهر مـــدن الشرق الإسلامى حضارة واستمر ذلك لمدة قرنين . ومن أشهر ملوك الدولة الصفوية الذين اهتموا بتشجيع الفنون ورعايتها الشاه « طهماسب » وحفيده « الشاه عباس » ولقد توطدت العلاقات التجارية والفنية فى عهده بين إيران والصين وبينها وأوربا .

العمارة :

لم يعثر على آثار من العمائر الصفوية التى شيدت فى العاصمتين تبريز وقزوين فى فترة الحكم الصفوى الأول . ولقد كتب المؤرخون كثيراً [1] عن العمائر الضخمة المزينة بالبلاط الخزفى والتصاوير الجدارية التى شيدها الشاه إسماعيل وخليفته الشاه طهماسب الأول (٩٣١ — ٩٨٤هـ) (١٥٢٤ — ١٥٧٦م) على أن طراز العمارة الصفوية يتجلى واضحاً فى مدينة أصفهان عندما صارت عاصمة ، حيث حرص الشاه عباس وخلفاؤه على توسيعها وتجميلها بعمائر فخمة .

عمارة المساجد :

اتبع تصميم المساجد الصفوية النماذج الإيرانية السابقة . ومن المساجد الصفوية الأولى مسجد شيد فى القرن السادس عشر الميلادى فى عهد الشاه إسماعيل فى مدينة « سافة » جنوب مدينة قزوين ، ويعتمد تصميم هذا المسجد على صحن يحيط به أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة الذى يتكون من قاعة كبيرة تعلوها قبة .

---

(١) انظر " ٣ أجزاء " Voyages du Chevalier Cardin en Perse, Paris 1811

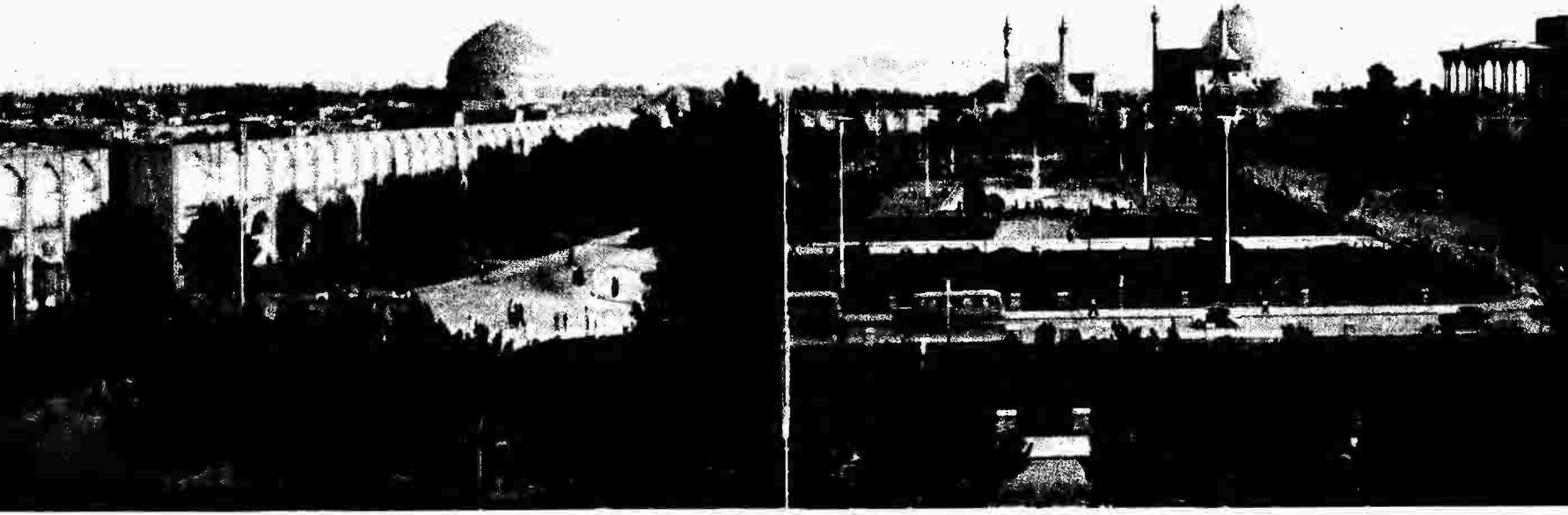

(شكل ٢٤٨)

ميدان الشاه عباس يتوسطه مسجد الشاه ، ومسجد الشيخ لطف الله ، وقصر على قابو ، أصفهان

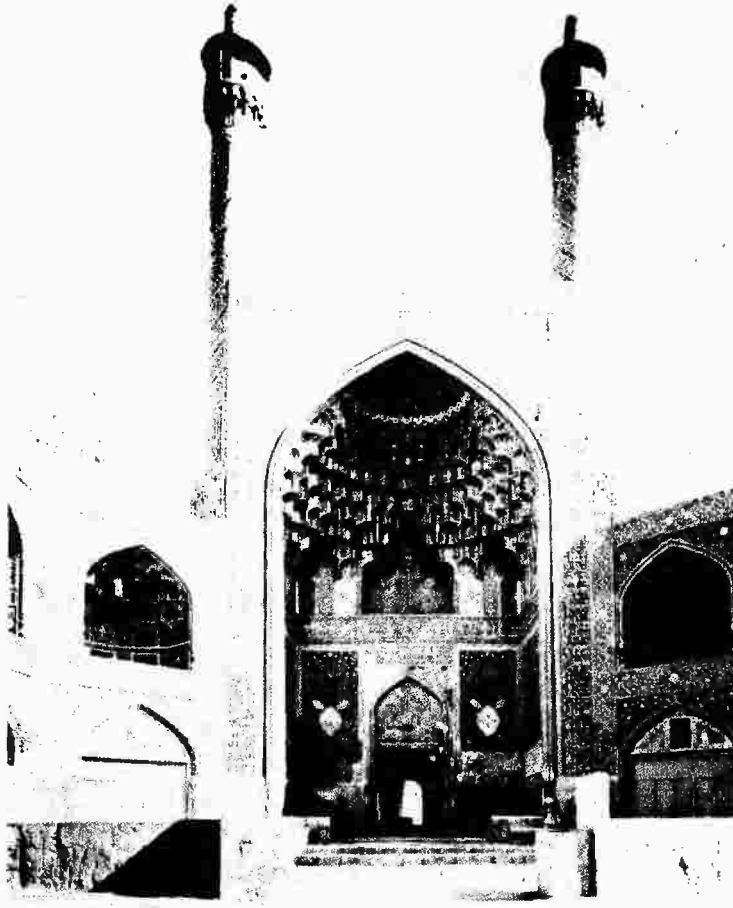

(شكل ٢٤٩)
مدخل مسجد الشاه بأصفهان ، عام

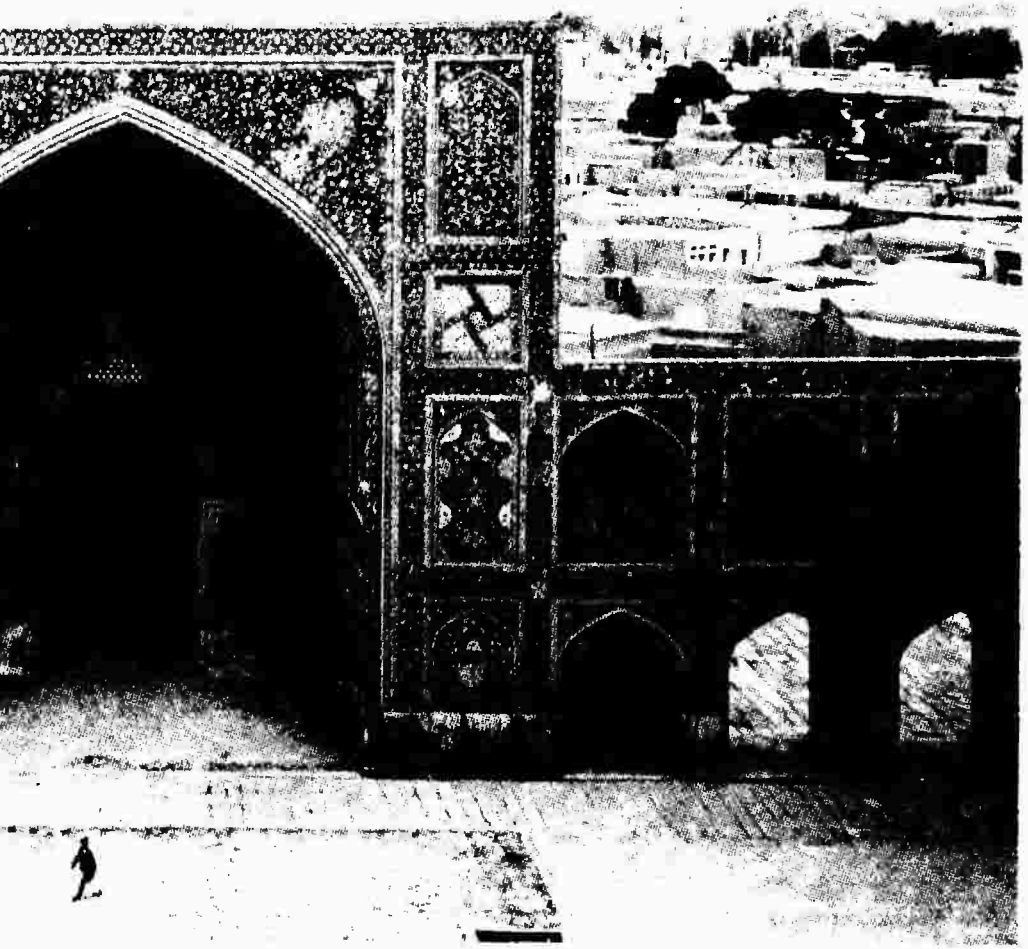

(شكل ٢٥٠)

ومن أفخم المساجد الصفوية مسجد «الشاه» بأصفهان، ويعد هذا المسجد قمة ما وصل إليه المهندس فى فن المعمار فى إيران بعد تجارب استمرت مئات السنين . ولقد خططت مدينة أصفهان فى عهد الشاه « عباس » ، وكان يتوسط المدينة ميدان كبير مربع عرف باسم « ميدان الشاه» استخدم للعبة الصولجان « البولو» . ويحيط بهذا الميدان (ش ٢٤٨) جدار من طابقين به بواك ذات عقود مدببة سلجوقية الطابع ، ويقطع هذه البواكى ثلاث بوابات عالية تؤدى إلى المبانى المحيطة بالميدان : بوابة « على قابو » وكانت تؤدى إلى القصر الذى كان يقيم به الشاه وبلاطه ، بوابة « جامع الشيخ لطف الله » وكانت تؤدى إلى مسجد الشيخ لطف الله ، وبوابة « مسجد الشاه » التى تؤدى إلى مسجده (ش ٢٤٩) . كما كان هناك أيضًا مدخل لسوق المدينة . وتقع بوابة « على قابو » بمواجهة بوابة « الشيخ لطف الله » من الجهة الجنوبية من الميدان . أما بوابة مسجد الشاه الكبيرة فتشغل حوالى ثلث الواجهة الجنوبية . ويلاحظ أن إيوان البوابة منحرف عن الميدان ليجعل للمسجد واجهة عليه ، ويقع بمواجهة مسجد الشاه مدخل السوق .

يتبع مسجد الشاه (١٠٢١ — ١٠٤٠ هـ) (١٦١٢ — ١٦٣٠م) فى أغلب عناصره الرئيسية الأسلوب السلجوقى الذى عرف فى إيران قبل ذلك . حيث يتوسطه صحن متسع محاط بمبان ، من طابقين ذات عقود مدببة (ش ٢٥٠) كالموجودة بالميدان . ويتوسط كل ضلع من أضلاع الصحن . إيوان مفتوح ملحق به قاعة تعلوها قبة ، واقد وجد هذا الأسلوب فى مسجد الجمعة السلجوقى بأصفهان ومسجد مشهد . ويتميز إيوان القبلة فى جامع الشاه باتساع كبير فى الحجم كما تعلوه قبة سلجوقية الشكل (ش ٢٥١) .

ويكتنف مدخل المسجد المرتفع من الناحيتين مئذنتان طويلتان أقل ارتفاعًا من مآذن رواق الصلاة ، ويلحق بهذا الجامع مدرستان تقع بين الإيوانين الجانبيين وبين إيوان القبلة . وترجع شهرة هذا الجامع إلى زخارفه الداخلية الجميلة (ش ٢٥٢) كما أن زخارف الواجهة تعكس أهمية المبنى فى الميدان ، خاصة إذا ما قورن بقصر « على قابو » الموجود بالميدان .

ويختلف تصميم مسجد الشيخ لطف الله الذى شيد ما بين عامى (١٠١١ —

١٠٢٨هـ) (١٦٠٢ – ١٦١٨م) كلية عن تصميم مسجد الشاه حيث يتكون من حجرة كبيرة مربعة تعلوها قبة [لوحة ملونة رقم ٩] وهو خلو من الفناء الأوسط والإيوانات . ويغطى جدران المبنى الداخلية والخارجية زخارف الفسيفساء .

ويعتمد تصميم قبتى جامع الشاه وجامع الشيخ لطف الله على تصميم القبة المزدوجة، الداخلية صغيرة والخارجية كبيرة، ويلاحظ أن ارتفاع قبة الشيخ لطف الله طبيعى كالذى وجد فى عصر السلاجقة ، على حين نجد أن قبة مسجد الشاه أكثر ارتفاعاً مما يذكرنا بالقباب التيمورية بشاه زنده . وتحمل القبة أسطوانة بها نوافذ تملؤها زخارف جصية مفرغة على هيئة تفريعات نباتية متصلة « أرابسك » (ش ٢٥٣) وتسمح هذه الفتحات للضوء والهواء بالنفاذ إلى داخل المبنى .

الأضرحة والمدارس :

شيد الحكام الصفويون الأضرحة فى إيران مع إدخال بعض التعديلات عليها . ففى غرب إيران أضيفت ردهة إلى القاعة ذات القبة ، فى حين ظهر فى شرق إيران أضرحة مثمنة الأضلاع . ومن أقدم الأضرحة الصفوية ضريح ومسجد الشيخ صفى الدين باردبيل الذى بدئ فى تشييده فى القرن الحادى عشر الهجرى السادس عشر الميلادى.

ويتكون هذا الضريح من مدخل ضخم يؤدى إلى حديقة مستطيلة توصل إلى مجموعة من المبانى مشيدة فى اتجاه منحرف عن ضلع الحديقة ، ويتوسط هذه المجموعة صحن داخلى . وتشتمل هذه المبانى ، على الجامع القديم وهو مبنى مثمن الأضلاع تقع قبلته فى مواجهة مدخله ، كما تشتمل على ضريح الشيخ صفى الدين الذى يقع إلى يسار الجامع . وهو يتكون من ضريح صغير ومصلى . ويوجد بالقرب من الضريح بناء ذو قبة يعرف باسم « البيت الصينى » شيد فى القرن السابع عشر الميلادى، ويغطى جدرانه الداخلية كسوة خشبية بها حنايا مختلفة الأشكال والأحجام لحفظ الأوانى الخزفية الخاصة بالضريح .

ولقد أقيم فى العراق فى فترة الحكم الصفوى أضرحة فخمة لأئمة المذهب الشيعى فى الكربلاء والنجف وسمراء ، كما أن ضريح الكاظمية ببغداد تم تشييده فى عهد

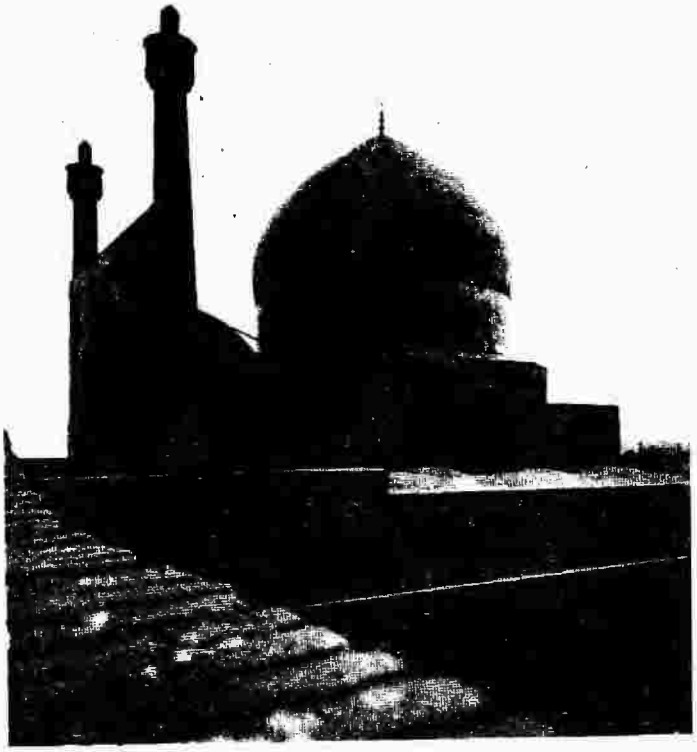

(شكل ٢٥١)
قبة مسجد الشاه عباس بأصفهان وتغطى الإيوان الرئيسى ، عام ١٦١٦ م ، إيران ، العصر الصفوى .

(شكل ٢٥٢)
مسجد الشاه عباس من الداخل وتغطى الجدران بلاطات خزفية ملونة . أصفهان

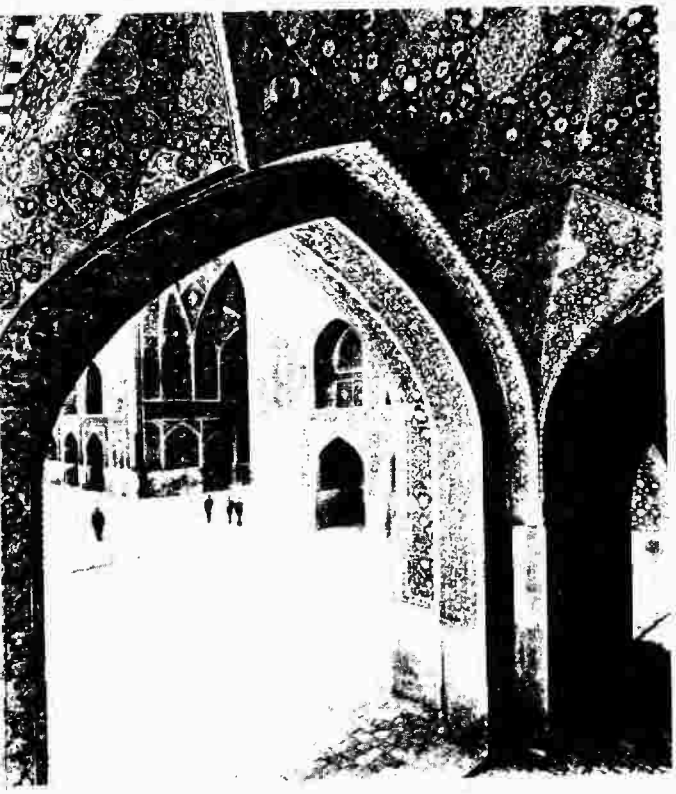

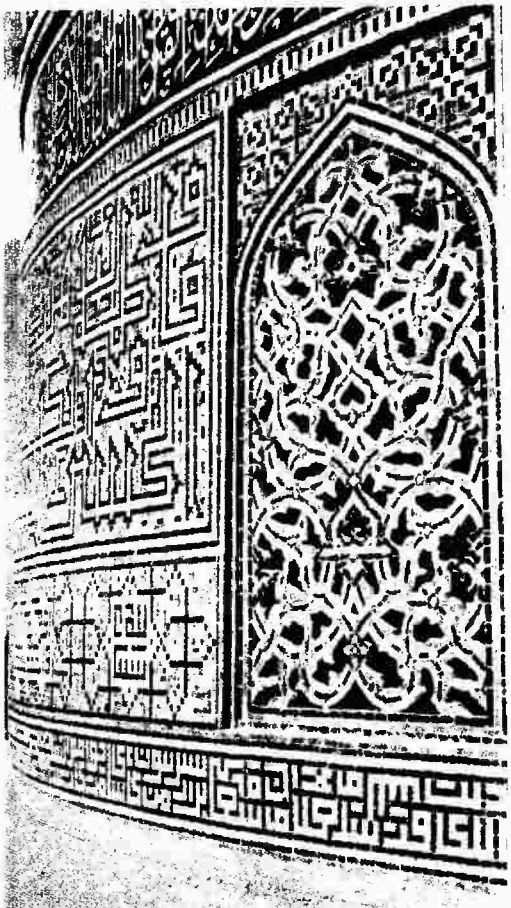

(شكل ٢٥٣)
الأسطوانة التى تحمل قبة مسجد الشيخ لطف الله ، وتظهر بها زخارف خزفية مفرغة . أصفهان .

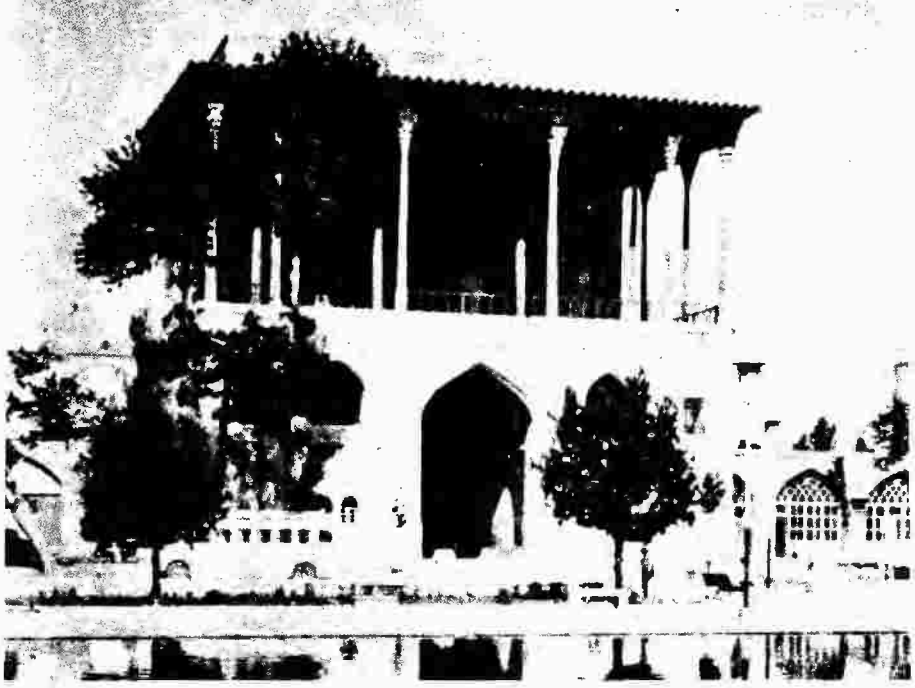

(شكل ٢٥٤)
قصر على قابوميدان الشاه ، أصـ

(شكل ٢٥٥)
قنطرة نهر زندة ، أصفهان حوالى
عام ١٠٠٩ هـ — ١٦٠٠ م .

(شكل ٢٥٦)
مقرنصات فى قبة مسجد الشاه عباس
بأصفهان .

الشاه عباس وكان تصميم هذه الأضرحة على الطراز الصفوى، وهى تمتاز بقباب مدببة الشكل ومآذن أسطوانية مرتفعة .

ومن أشهر المدارس الصفوية مدرسة مادر شاه بأصفهان، وقد شيدت فى عهد الشاه حسين » آخر الحكام الصفويين حوالى (١١١٨ — ١١٢٦هـ) (١٧٠٦ — ١٧١٤م) . ويتبع طرازها التصميم الذى عرف فى إيران ، الذى يتكون من صحن طويل يحيط به أربعة إيوانات فى طابقين ، ويتشابه إيوان القبلة مع إيوان مسجد الشاه . وتغطى قبة قاعة القبلة زخارف جميلة من الفسيفساء الزرقاء . ويعتبر هذا المبنى آخر المبانى العظيمة التى شيدت فى العصر الصفوى .

عمارة القصور :

اهتم الشاه عباس وخلفاؤه بتشييد القصور فى مدينة أصفهان ، وقد اشتهرت هذه القصور بحدائقها الجميلة ومن أشهرها قصرا « جهل ستون » و« على قابو » . ويلحق بواجهة القصر الأول رواق مرتفع يستخدم فى الاستقبالات فى الصيف ، ويحمل السقف عدد من الأعمدة الخشبية . ويتوسط القصر قاعة العرش ، وتحيط بها قاعات صغيرة للسكن تتكون من طابقين . وتغطى جدران هذا القصر من الداخل تصاوير جدارية بموضوعات آدمية ونباتية .

أما قصر « على قابو » الموجود بالميدان فقد استخدم كمركز للدولة ، وتظهر فى طابقه الثانى شرفة ويحمل سقفها أعمدة خشبية (ش ٢٥٤) .

اعتنى الصفويون أيضًا بتشييد الخانات وكان تصميمها يتبع عادة تصميم المدارس ، ولقد أضيفت إليها حجرات للنوم واسطبلات ومخازن للبضائع حول الصحن الذى يتوسط المبنى ، كذلك أقاموا قناطر على الأنهار تتكون مبانيها من طابقين ذوى عقود مدببة سلجوقية الطابع (ش ٢٥٥) .

الزخارف المعمارية :

الفسيفساء والبلاط الخزفى :

استخدمت الفسيفساء الخزفية فى تغطية الجدران الخارجية . ويظهر من تنفيذ زخارف الفسيفساء أنها نفذت بطريقة أبسط من الفسيفساء التى عرفت قبل ذلك

فى إيران ، ومن أحسن الأمثلة على ذلك فسيفساء قبة مسجد الشيخ لطف الله الخارجية » [لوحة ملونة رقم ٩] ، التى تتكون زخارفها من تفريعات نباتية متصلة « الأرابسك » ، ورسوم الأزهار ذات الألوان الجميلة . وتتميز هذه القبة باستخدام اللون الأصفر كأرضية لزخارف الفسيفساء . وتتشابه عناصر زخارف مسجد الشيخ لطف الله مع زخارف جامع الشاه ، إلا أن ألوان القطع فى مسجد الشاه يغلب عليها اللون الأزرق . ولم يلبث الخزافون فى أصفهان أن اهتدوا إلى طريقة جديدة لتجميع عدد أكثر من الألوان فى بلاطة واحدة . وبذلك استخدموا البلاط الخزفى فى كسوة الجدران الداخلية للمبانى بدلا من الفسيفساء التى تتطلب وقتًا أطول ونفقات أكثر . ومن أحسن الأمثلة على ذلك زخارف مدرسة مادرشاه ، والتى تتكون من عناصر نباتية محورة باللونين الأبيض والأصفر على خلفية زرقاء .

ولقد استخدمت المقرنصات كعنصر هام من عناصر الزخارف المعمارية ، وكانت هذه المقرنصات تغطى بالبلاط الخزفى المتعدد الألوان . وتغطى البلاطات الخزفية ذات الزخارف الجميلة الملونة المقرنصات والجدران والقبة فى مسجد الشاه (ش ٢٥٦) ، وتضفى هذه الزخارف على مكان العبادة شكلا جميلا يؤثر فى النفوس . حيث يبدو المبنى من الداخل ككتلة سابحة اختفت فيها العناصر المادية (ش ٢٥٢) .

استخدمت الألواح الخشبية المزخرفة أيضًا فى كسوة جدران بعض القصور ، وكانت هذه الزخارف إما تلون بالألوان الذهبية أو تحفر أو تطعم . ويظهر أسلوب هذه الزخارف أيضًا فى الأبواب والسقوف أيضًا . وبالإضافة إلى ما سبق استخدمت الألواح الرخامية أيضًا فى تغطية الأجزاء السفلى من الجدران ، كما وجدت زخارف جصية منقوشة ملونة فى قصر « على قابو » . ويغطى جدران قصر « جهل ستون » الداخلية تصاوير جدارية بموضوعات مقتبسة من تاريخ الصفويين (ش ٢٥٧) .

الفنون الصغيرة :

الخزف :

عثر على عدد من الأوانى الخزفية التى ترجع إلى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى – السادس عشر الميلادى ، وكان هذا الإنتاج المبكر من مدينة

(شكل ٢٥٧)

تصوير جدارى بقصر جهل ستون بأصفهان ، نهاية القرن ١٠ هـ – ١٦م العصر الصفوى .

(شكل ٢٥٨)

إناء من الخزف المنسوب إلى كوبجى ، ذى زخارف زرقاء على أرضية بيضاء . العصر الصفوى .

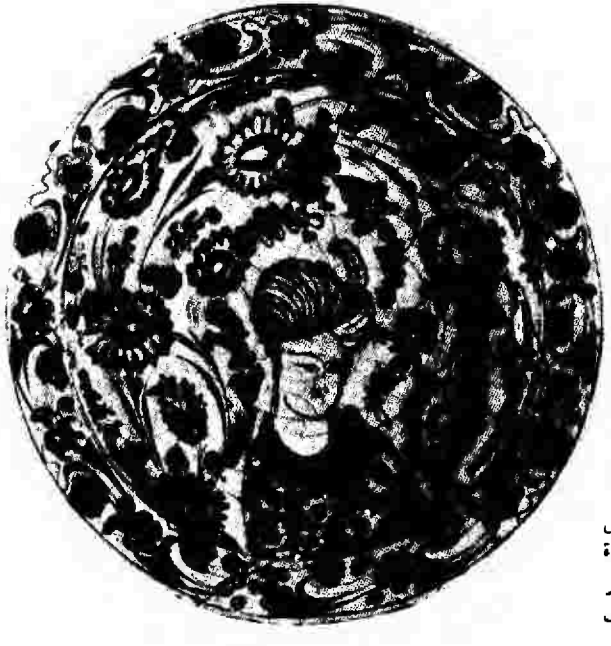

(شكل ٢٥٩)

طبق من الخزف المنسوب إلى كوبجى ذى زخارف آدمية ونباتية متعددة الألوان ، القرن ١١هـ – ١٧ م ، العصر الصفوى بإيران ، حالياً بمتحف الفنون الزخرفية ، باريس .

(شكل ٢٦٠)

صحن من الخزف ذو زخارف متعدد الألوان من مدينة مشهد ، النصف الأول من القرن ١١ هـ — ١٧ العصر الصفوى ، إيران ، متحف المتروبوليتان ، بنيويورك . مهدا من المتحف . مجموعة بابرو

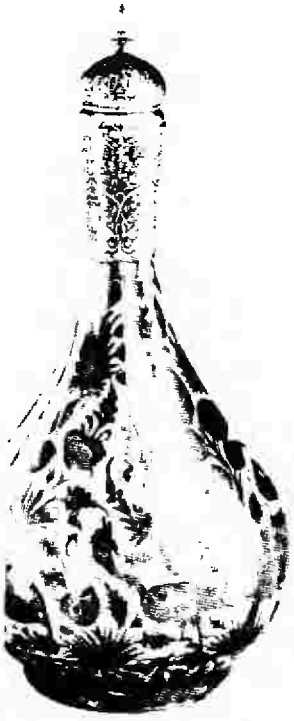

(شكل ٢٦١)

قنينة نبيذ مضلعة مزخرفة بالبريق فوق الطلاء الأزرق ، النصف الثانى من القرن ١١ هـ — ١٧ م . العصر الصفوى ، إيران ، حالياً متحف المتروبوليتان .

(شكل ٢٦٢)

تربيعات من الخزف بها زخارف آدمية وجدت فى قصر جهل ستون بأصفهان ، العصر الصفوى إيران . حالياً متحف اللوفر .

« كوباجى » وتميز بمحاولة تقليد الخزف الصينى ، فتظهر به زخارف زرقاء على أرضية بيضاء (ش ٢٥٨) . إلا أن الخزافين فى كوباجى تمكنوا فى النصف الثانى من القرن السادس عشر من إنتاج نوع من الخزف به زخارف متعددة الألوان ، تظهر فيه الألوان الأصفر والأزرق والأخضر والأسود والبرتقالى على الأرضية البيضاء . ولقد حلت تدريجيا فى زخارف هذه المجموعة الوحدات الصفوية الوطنية محل الزخارف الصينية ، فتظهر على الأوانى رسوم نصفية لشبان ونساء (ش ٢٥٩) مرسومين بأسلوب زخرفى يتشابه مع أسلوب المصور رضاعباس الذى صور مخطوطات البلاط الصفوى فى عصر الشاه عباس . كما تظهر أيضًا بزخارف المجموعة وحدات لطيور وحيوانات بين الأشجار والنباتات . والواقع أن تأثير هذا المصور لم يقتصر على المخطوطات بل امتد إلى الأوانى الخزفية والمنسوجات ولوحات القيشانى .

ولقد نجح الخزافون فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى فى إنتاج نوع من الخزف الرقيق (البورسلين) الكثير الشبه بما كان يصنع فى الصين فى عصر أسرة « منج » . وبالرغم من أن هذا الخزف قد تميز بمكانته عن خزف كوباجى ، إلا أنه لم يصل إلى متانة الخزف الصينى . وأحسن ما أنتج منه ينسب إلى عصر الشاه عباس ، الذى شجع هذه الصناعة ، وأحضر خزافين من الصين . وكانت أهم المراكز فى تلك الفترة مدينتا « كرمان » و « مشهد » . وتظهر فى زخارف هذا النوع من الخزف ، الوحدات الصينية مثل التنين والطيور والحيوانات الصينية ، مرسومة بعدة ألوان على الأرضية البيضاء تحت الدهان . مثال ذلك قنينة من كرمان مزخرفة بوحدات حيوانية باللون الأزرق مع زخارف نباتية داخل جامات باللونين البنى والأخضر [لوحة ملونة رقم ١٠] ولقد انتشرت صناعة هذه القنينات فى العصر الصفوى .

ويظهر فى أوانى مشهد مزيج من الزخارف الصينية والعناصر الآدمية والحيوانية (ش ٢٦٠) وتلون الواحدات باللونين الأزرق والأبيض بعد تحديدها بخطوط سوداء واضحة ، أما العناصر الإيرانية فتلون بألوان أخرى من أهمها الأحمر والأخضر القاتم .

انتعشت صناعة الأوانى الخزفية ذات البريق المعدنى مرة ثانية فى العصر الصفوى بعد التدهور الذى أصيبت به منذ القرن الخامس عشر الميلادى ، وكان ذلك فى

عصر الشاه عباس فى النصف الثانى من القرن السابع عشر الميلادى ، ومن أهم مراكز هذه الصناعة مدينة أصفهان . وقد تميز هذا البريق المعدنى بلمعان مختلف ينحصر بين اللون الذهبى والأحمر النحاسى والبنى . ومن هذا النوع قنينة ذات أضلاع متعددة تختلف زخارف وألوان كل ضلع من أضلاعها (ش ٢٦١) عن الآخر .

اشتد الإقبال على صناعة البلاطات الخزفية فى العصر الصفوى لتغطية جدران المدارس والمساجد والقصور والأضرحة ، وتظهر فى زخارف البلاطات التى تغطى الجدران زخارف نباتية وكتابية وهندسية ، وتأخذ الزخارف الموجودة بالعقود شكل السجاد . وتظهر براعة الخزافين فى العصر الصفوى فى صناعة البلاطات الخزفية ذات الألوان المتعددة التى قد يصل عددها إلى سبعة ، وتظهر فى زخارف هذه البلاطات موضوعات لمناظر حفلات فى الحدائق تظهر فيها السيدات بالزى الصفوى ، وربما تكون هذه الموضوعات منقولة عن أسلوب مدرسة « رضا عباسى » التى ازدهرت فى عصر الشاه عباس . ولقد تمكن الفنان بمهارة من تكوين هذه الصور الكاملة بتوزيع أجزائها على عدة بلاطات . ومن أجمل نماذج هذا النوع بلاطات يقال إنها كانت فى قصر « جهل ستون » (ش ٢٦٢) . ولقد استخدمت فيها الألوان الأصفر والأزرق الزهرى والفيروزى والأخضر والأحمر مع تحديدات بالأسود على الأرضية البيضاء .

النسيج والسجاد :

بلغت صناعة المنسوجات الحريرية فى إيران قمة مجدها فى العصر الصفوى . ولقد تعددت أنواع المنسوجات التى أنتجتها المصانع فى ذلك العهد. فمن منسوجات حريرية سادة ومتعددة الألوان إلى منسوجات حريرية مرشاة بخطوط الذهب والفضة ، فضلا عن المنسوجات الحريرية المخملية . وبالإضافة إلى استخدام هذه المنسوجات الحريرية فى صناعة الملابس ، نلاحظ أيضا أنها استخدمت فى عمل الستائر والحشيات ، كما بطنت بها الخيام . ولا يمكن اعتبار هذه الصناعة استمراراً لما كان معروفاً فى العصر التيمورى ، وذلك لعدم معرفتنا بالمنسوجات التيمورية

(شكل ٢٦٣)

نسيج من الحرير مزخرف بموضوع قصة ليلى والمجنون، يزد، عام ١٠٠٩هـ - ١٦٠٠م ، حالياً متحف الفنون بمدينة بوسطن .

(شكل ٢٦٤)

نسيج من المخمل مع حرير تصور شاباً مع سائل فى حديقة ، ربما من إنتاج قاشان ، العصر الصفوى ، إيران متحف مدينة كارلزرو بألمانيا

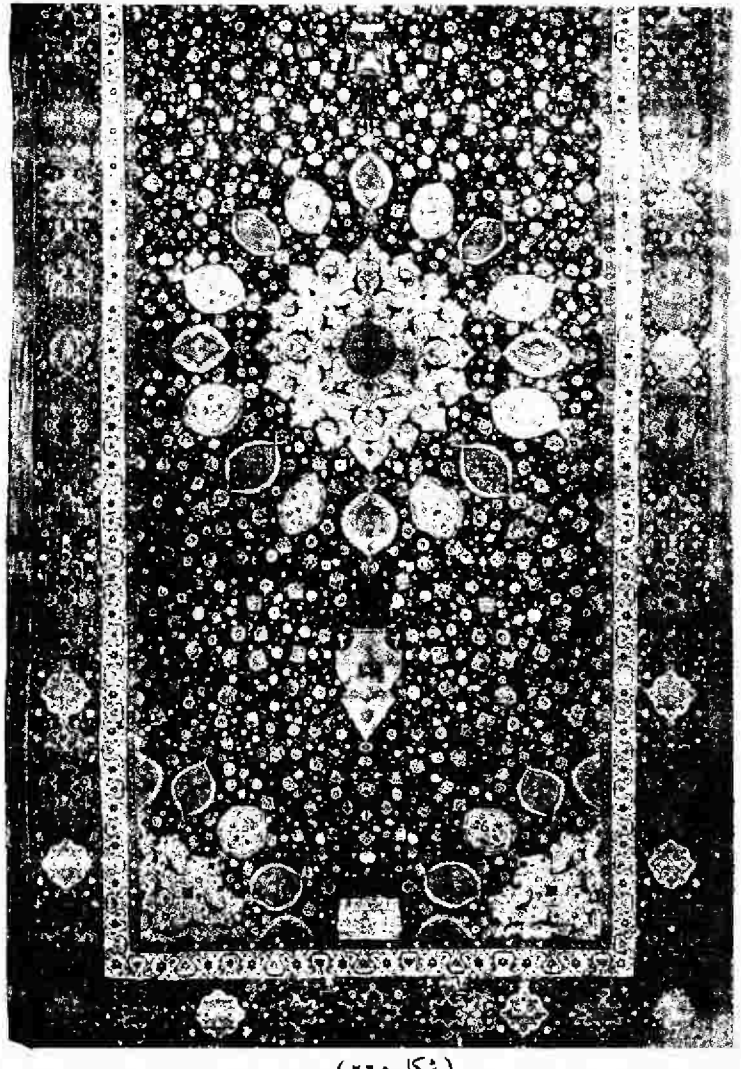

(شكل ٢٦٥)

سجادة عثر عليها بمسجد الشيخ صفى الدين بأردبيل ، صنعت فى [illegible] ، حالياً

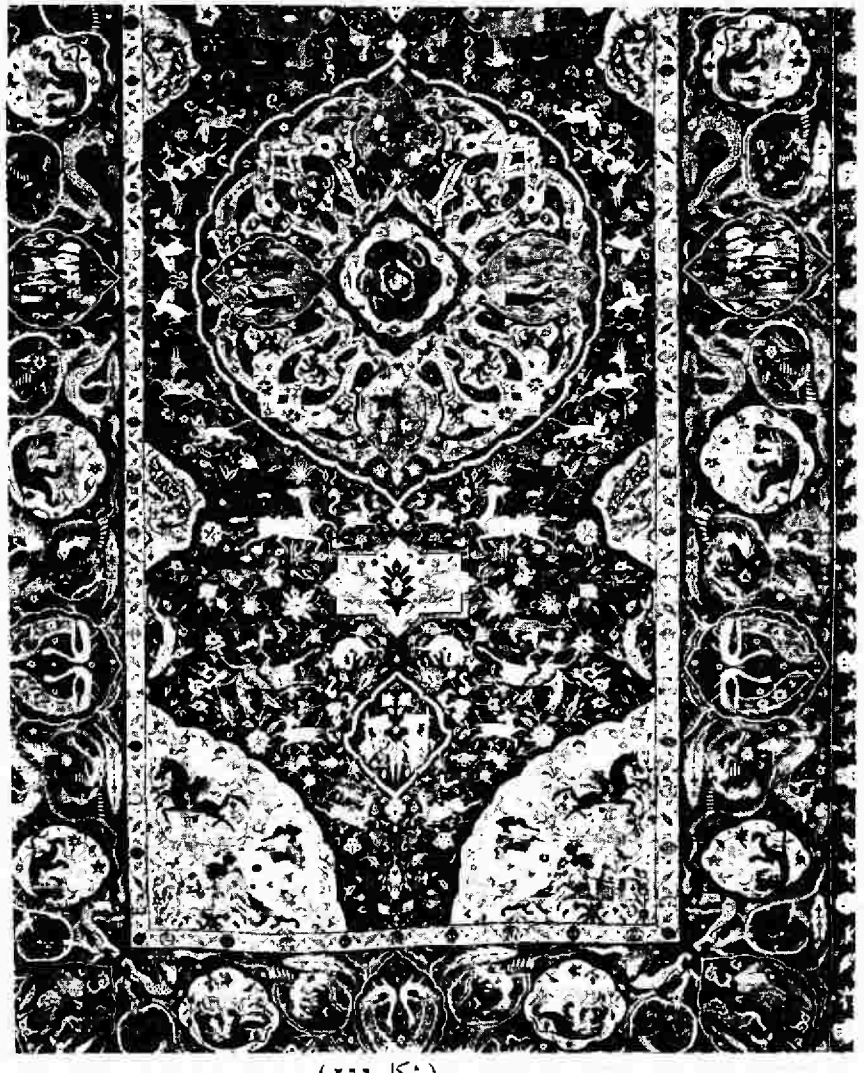

(شكل ٢٦٦)

سجادة تتوسطها جامة كبيرة مزخرفة بحيوانات وآدميين وأزهار ، صناعة [illegible]

لندرة ما عثر عليه من منسوجات من ذلك العهد .

ولقد تميزت المنسوجات الصفوية بثروة زخرفية لم تعرف من قبل فى إيران . حيث استخدم الفنانون زخارف الزهور والفروع النباتية والمراوح النخيلية ، بالإضافة إلى الزخارف الحية التى تظهر بها مناظر الأمراء وهم يتنزهون فى الحدائق أو يصطادون . واشتهرت مراكز صناعة النسيج فى يزد وقاشان وأصفهان بإنتاج أفخر أنواع النسيج الحريرى والموشى والمخملى ، ولقد وقع مصممو المنسوجات عليها .

ومن المنسوجات المصورة المؤرخة التى تنسب صناعتها إلى مدينة يزد قطعة حرير بإمضاء النساج غياث [١] تظهر بها زخارف من قصة ليلى والمجنون (ش ٢٦٣) . ومن قطع النسيج الحريرية الموشاة المتعددة الألوان قطعة مزخرفة بوحدة متكررة لفارس بجانب شجرة يقود أسيراً ربما يكون من الأزبك أو التركمان [لوحة ملونة رقم ١٠] وتظهر هذه الزخارف الملونة على أرضية حمراء . على أن أبدع ما أنتجه النساجون فى ذلك العهد هو المخمل ، ولقد اشتهرت مدينتا يزد وكرمان بصناعة المخمل حتى القرن الثامن عشر الميلادى ، ويبرهن ذلك قطعة رائعة زخرفت بوحدات آدمية فى حديقة مزهرة بها طيور ، وتظهر هذه الوحدات على أرضية مذهبة (ش ٢٦٤) .

ويعد العصر الصفوى العصر الذهبى لصناعة السجاد فى إيران حيث زاد إنتاج السجاجيد لكثرة الطلب عليها من الغرب . ولقد تأثر مصورو صور مخطوطات القرن السادس عشر الميلادى بتصميمات السجاجيد الصفوية ، فاستبدلت الوحدات الهندسية التى ظهرت فى سجاجيد مخطوطات العصرين المغولى والتيمورى ، بزخارف ذات عناصر آدمية ونباتية . ويمكن إرجاع أقدم السجاجيد الصفوية إلى عهد الشاة « إسماعيل » . واشتهرت مدينة تبريز فى عصره وعهد خليفته الشاه « طهماسب » بكونها أهم مركز لصناعة السجاجيد ، بالإضافة إلى المراكز الأخرى التى وجدت فى « هراه » و « قاشان » و « همذان » . ولقد أنتجت هذه المراكز أنواعاً

---

(١) نشأ غياث الدين فى مدينة يزد وذاع صيته فى صناعة المنسوجات المصورة . انظر مقالة فى Bulletin of the American Institute for Persian Art & Archeology. Ph. Ackerman : "A Biography of Ghiath the weaver" العدد السابع عام ١٩٤٤ .

كثيرة من السجاد لا مثيل لها فى الإتقان احتوت على موضوعات زخرفية مختلفة .

ويفضل الباحثون عادة تقسيم السجاجيد الإيرانية إلى مجموعات حسب موضوعاتها الزخرفية عن تقسيمها تبعًا للمراكز التى أنتجتها ، وذلك لاشتراك هذه المراكز أحيانًا فى الموضوعات الزخرفية التى وجدت بها مما يُصعّب صحة نسبتها إلى هذه المراكز .

كان النوع الأكثر انتشاراً فى السجاجيد الصفوية هو الذى تتركز فيه الزخارف حول جامة فى الوسط ، وكانت هذه الجامة ذات أشكال متنوعة ، إما مستديرة أو بيضاوية مسننة أو نجمية الشكل ، وغالبًا ما تتصل بهذه الجامة الرئيسية من أعلى وأسفل دلايات على شكل إناء . ويزين كل ركن من أركان السجادة ربع جامة كبيرة ، وتتكون زخارف هذا النوع من السجاجيد من رسوم لفروع نباتية وبعض تفريعات الزهور المتشابكة ، يضاف إليها أحيانًا رسوم حيوانية صغيرة وطيور . ويتضح هذا الأسلوب فى سجادة من صناعة تبريز (ش ٢٦٥) ، ويوجد فى طرف من أطراف السجادة مستطيل به تاريخ صناعتها « عام ٩٤٦ هـ — ١٥٣٩ م » وبيت شعر لحافظ الشيرازى . ولقد كانت هذه السجادة موضوعة بمسجد الشيخ صفى الدين باردبيل إلا أنها توجد حاليًا بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن . ونلاحظ أن تفريعات الزهور الموجودة بهذه السجاجيد قريبة من الطبيعة كما أن الجامة المتوسطة تحيط بها أشكال بيضاوية مدببة .

وهناك مجموعة من السجاد ذى الجامة المتوسطة لا تقتصر زخارفها على التفريعات النباتية المزدهرة ، بل تجد بينها أيضًا رسوماً آدمية وحيوانية ووحدات صينية . وأقدم نموذج من هذا النوع سجادة بها تاريخ صناعتها ٩٣٠ هـ (١٥٢٢ — ٢٣م) حاليًا بمتحف بولدى بيزولى [صورة ملونة رقم ١١] وينسب عدد من هذا النوع من السجاجيد إلى هراه فى القرن السادس عشر الميلادى . ومن أجمل نماذج هذا النوع من السجاجيد سجادة يتوسطها جامة كبيرة مزخرفة برسوم آدمية وحيوانية وأزهار (ش ٢٦٦) وتشغل أرضية السجاد القائمة رسوم حيوانات متقابلة منفردة أو مزدوجة ، ويحتوى الإطار الأحمر على جامات بها رسوم فهود تطارد غزلانًا كما تزخرف بقية أرضية الإطار وحدات لحيوان التنين .

(لوحة ماونة رقم ٩)

مسجد الشيخ لطف الله فى أصفهان من الخارج . إيران أوائل القرن ١١ هـ. ١٧ م ويوجد هذا المسجد فى ميدان الشاه بمواجهة قصر على قابو وتعتبر زخارفه الخزفية من أجمل ما أنتج فى العصر الصفوى

(لوحة ملونة رقم ١٠)

نسيج من الحرير المتعدد الألوان من صناعة إيران فى القرن ١٠ هـ - ١٦م ويظهر به رسم متكرر لوحدة تصور فارساً يقود أسيراً . حالياً متحف المتروبوليتان

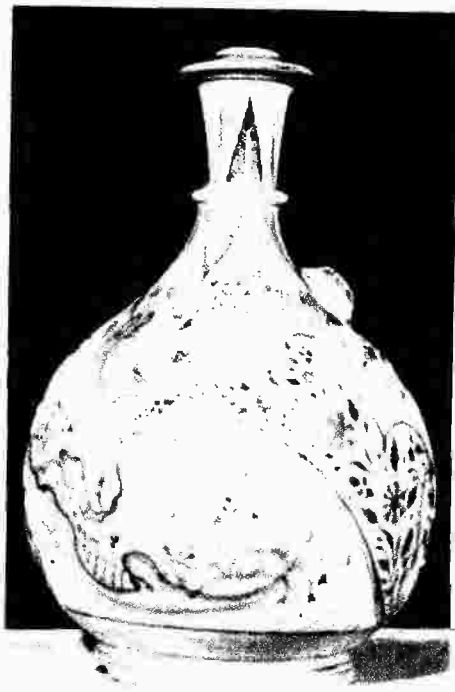

قنينة من الخزف من صناعة كرمان فى القرن ١١ هـ - ١٧م . بها زخارف زرقاء وملونة ذات أسلوب صينى . حاليا متحف فيكتوريا والبرت بلندن .

(لوحة ملونة رقم ١١)

سجادة متعددة الجامات ذات رسوم نباتية وحيوانية ، من صناعة تبريز فى النصف الأول من القرن ١٠ هـ – ١٦ م .

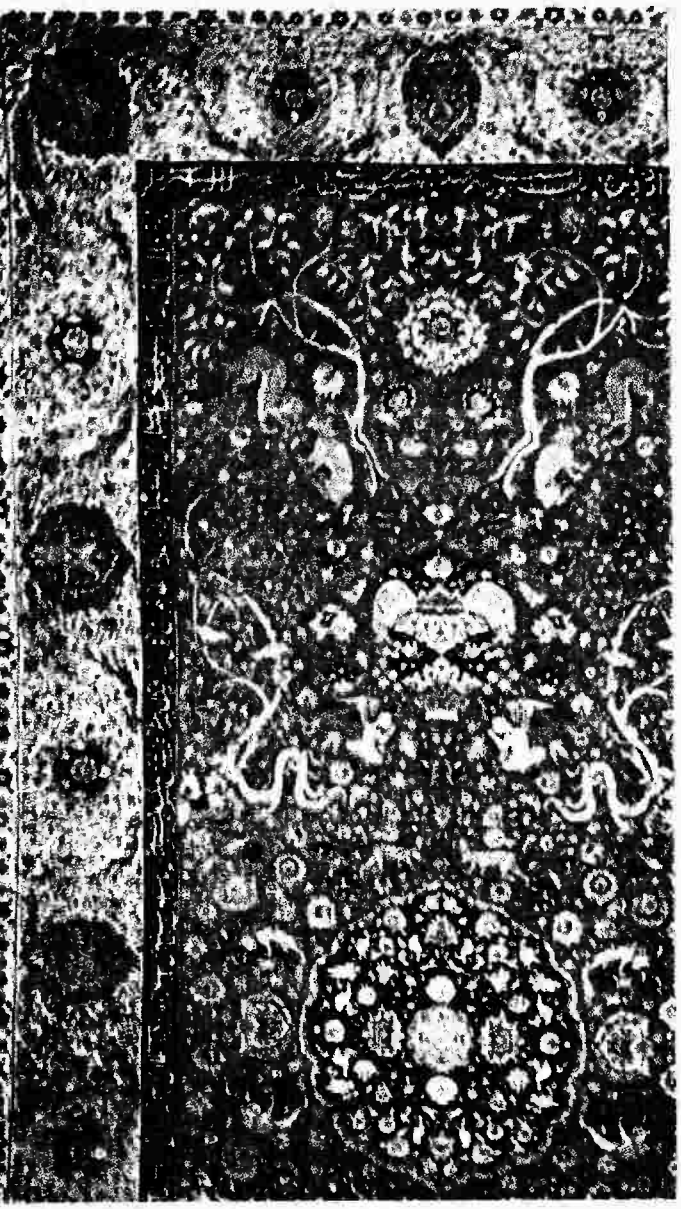

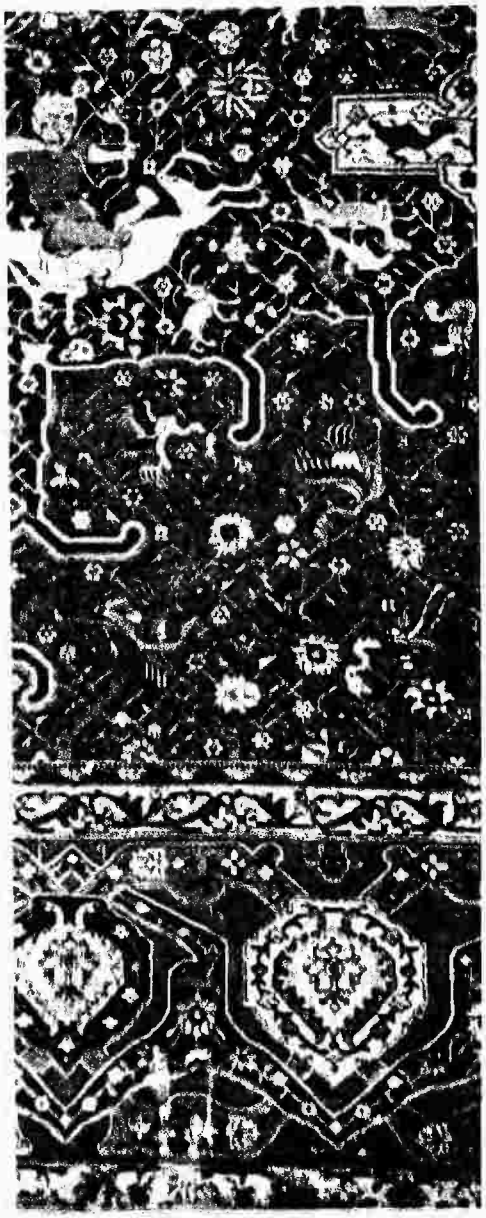

سجادة ذات جامة متوسطة ويزخرف الأرضية وحدات آدمية وحيوانية ونباتية ، ويدل التاريخ الموجود عليها ٩٣٠ هـ – ١٥٢٢ / ٢٣ م على أنها أقدم سجادة من هذا النوع . حالياً متحف بولدى بتزولى .

(لوحة ،لونة رقم ١٢)

صورة من مخطوط المنظومات الخمسة، كتبت فى تبريز فى الفترة ٩٤٧/٩٥١هـ – ١٥٣٩ – ٤٣ م وتظهر بالصورة عجوز تقود المجنون نحو خيمة ليل. وتنسب هذه الصورة إلى المصور مير سيد على . حالياً المتحف البريطانى .

صورة من مخطوط شاهنـ « هوتن » صورت فى تبر عام ٩٤٥ هـ – ٥٣٧ تصور البطل شاموران . الشياطين . وتنسب الصورة إلى المصور سلم محمد ، حالياً متح المتروبوليتان .

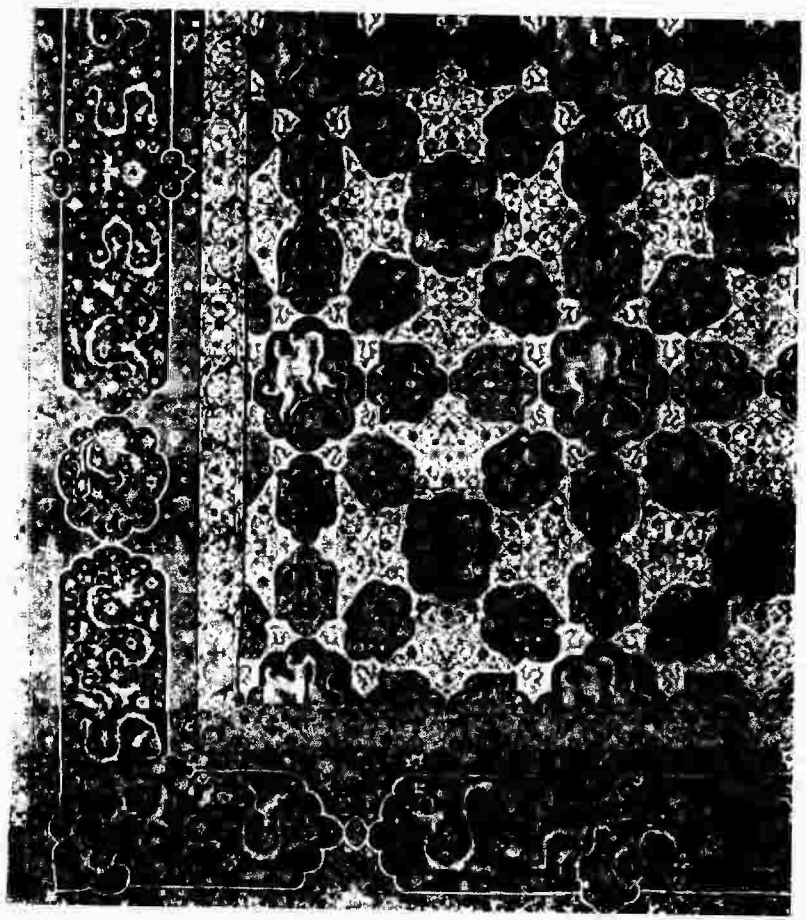

(شكل ٢٦٧)

سجادة ذات جامات متعددة مزخرفة بواحدات صينية تنسب إلى تبريز ، النصف الأول من القرن ١٠ هـ – ١٦ م العصر الصفوى ، إيران . متحف المتر وبوليتان .

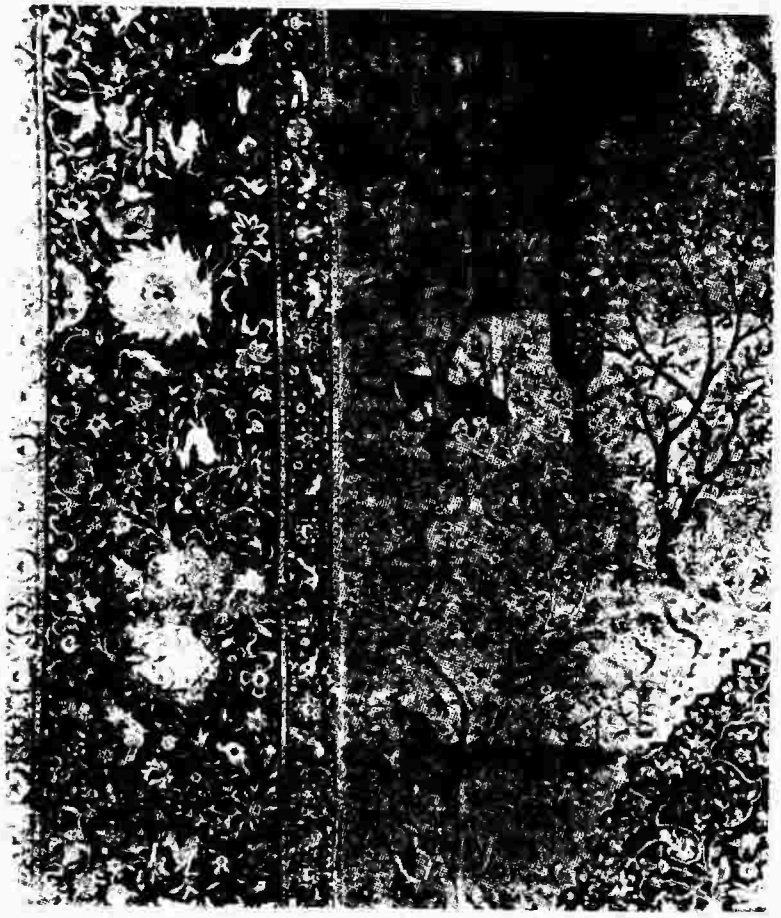

(شكل ٢٦٨)

سجادة مزخرفة بأشجار ووحدات حيوانية ، صناعة تبريز ، النصف الأول من القرن ١٠ هـ – ١٦ م . حالياً متحف الفنون الزخرفية باريس .

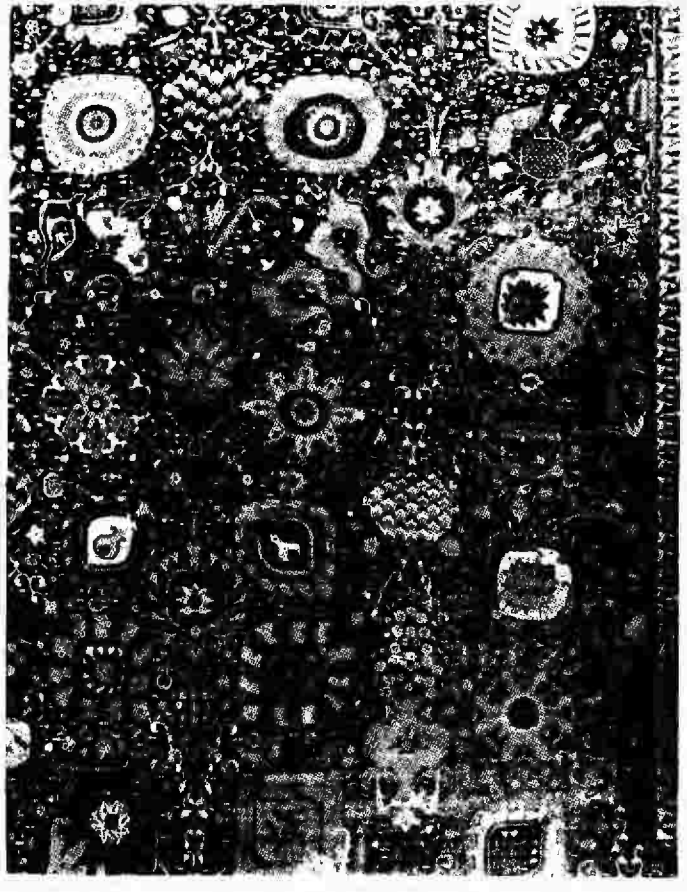

(شكل ٢٦٩)

سجادة بها زخارف تشبه الزهريات، من صناعة أصفهان، النصف الثانى من القرن ١٠هـ — ١٦م. متحف فيكتوريا والبرت

(شكل ٢٧٠)

سجادة مزخرفة على هيئة مسقط للحدائق الإيرانية، شمالى غرب إيران، القرن ١٢ هـ — ١٨ م. متحف فوج بجامعة هارفارد.

ويكثر أحيانًا عدد الجامات فى الأبسطة ذات الرسوم النباتية والحيوانية ، ومن أحسن الأمثلة على ذلك سجادة تنسب إلى صناعة تبريز فى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى — السادس عشر الميلادى ؛ ويحيط بالجامة الوسطى جامات أصغر حجماً وتظهر فى زخارف هذه الجامات وحدات نباتية وبطات صينية طائرة [لوحة ملونة رقم ١١] ، وتشغل أرضية السجاد زخارف من الفن الصينى إلى جانب زخارف نباتية وتفريعات مزهرة وحيوانات طبيعية .

ومن الأبسطة ذات الجامات المتعددة ، سجاد رائع ينسب إنتاجه إلى تبريز فى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى ، ولقد استبدلت الجامة التى تتوسط السجادة عادة بمجموعات من الجامات . وتتكون كل مجموعة من جامة صغيرة تحيط بها تسع جامات أصغر حجمًا ، ويتكرر هذا التوزيع على أرضية السجاد . وتظهر فى زخارف بعض الجامات العناصر الصينية (ش ٢٦٧) . حيث تضم الجامات الكبيرة الملونة باللون الأزرق زخارف تصور الصراع بين العنقاء والتنين ، بينما تظهر فى زخارف الجامات الصغيرة وحدات نباتية وبطات طائرة . وتحصر هذه الجامات الصغيرة جامات أكبر ، بها رسم لأربعة أسود ، وتملأ أرضية الفراغات الموجودة بين الجامات زخارف نباتية وتفريعات مزهرة وأشرطة من السحب الصينية ، ويحيط بأرضية هذه السجادة ، إطار عريض أحمر تظهر به زخارف من التفريعات النباتية فى مساحات محددة .

ونلاحظ أحيانًا فى سجاجيد الجامات ذات الحيوانات ، أن الأرضية التى تحيط بالجامة المتوسطة تزخر بأنواع من الأشجار تتخللها وحدات حيوانية منقولة عن الطبيعة . مثال ذلك سجادة من صناعة تبريز ترجع إلى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى — السادس عشر الميلادى (ش ٢٦٨) ، قوام زخرفتها منظر طبيعى غنى برسوم الأشجار المزهرة والطيور والحيوانات ، وتظهر هنا الأشجار كعنصر رئيسى فى زخارف هذا النوع من السجاد . وتزخرف الجامة الوسطى رسوم طيور وأزهار ، ويظهر بالإطار الداكن الذى يحيط بالسجادة مراوح نخيلية وزخارف من الأرابيسك والطيور .

ومن أنواع السجاجيد الإيرانية مجموعة بها زخارف من الزهور تشبه الزهريات

(ش ٢٦٩) ولا تتوسط هذه الزخارف جامات . ويلاحظ أن هذه الوحدات موزعة فى تنسيق حول مركز السجادة الأوسط ولا يظهر بهذه السجاجيد تأثير تصاوير العصر الصفوى ، وغالبًا ما يكون اون الأرضية أزرق أو أحمر ، وألوان الأزهار براقة . وينسب هذا النوع من السجاجيد إلى أصفهان فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى — السادس عشر الميلادى .

وهناك مجموعة من السجاجيد تتميز برسوم تشبه تقسيم الحدائق الإيرانية بما فيها من أحواض وصفوف أشجار وقنوات جارية (ش ٢٧٠) وترجع أغلبية السجاجيد ذات الحدائق إلى القرن الثانى عشر الهجرى — الثامن عشر الميلادى ويرجح نسبتها إلى مراكز فى شمال غرب إيران .

ولقد اشتهرت إيران فى العصر الصفوى بصناعة السجاجيد الحريرية ، ومن أشهر هذا النوع ، سجادة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن (ش ٢٧١) . وتزخرف هذه السجادة وحدات حيوانية ، ولقد استخدمت فى صناعتها عقد من الحرير المتعدد الألوان وخيوط الذهب والفضة ، كما يظهر فى أطراف السجادة زخارف لآدميين مجنحين . ويرجح من أسلوب هذه الزخارف أن أحد مصورى مخطوطات ذلك العهد هو الذى ربما رسم تصميمها . وتتشابه هذه السجادة مع سجادة فى المتحف النمساوى تظهر بإطارها أيضًا زخارف للملائكة . واو أن هذا النوع من السجاد ينسب إلى قاشان إلا أنه يحتمل أيضًا أن يكون من صناعة تبريز أو قزوين .

ومن مجموعة السجاجيد الحريرية الصفوية الفاخرة نوع مطرز بخيوط الذهب أو الفضة تنسب خطأ إلى بولندا ، وذلك لوجود رنوك حكام هذا القطر بها . ولقد تأكد الآن بصفة قاطعة أنها من صناعة مناسج البلاط الصفوى فى أصفهان أو قاشان خلال حكم الشاه عباس وربما يكون قد أهداها إلى هؤلاء الحكام (ش ٢٧٢) .

ولقد أنتجت القوقاز نوعًا من السجاد تختلف زخارفه كثيراً عما وجد فى المراكز الإيرانية ، حيث تتميز هذه السجاجيد بتقسيمات هندسية ، ويتضح ذلك فى سجادة مقسمة إلى مناطق تتكرر فيها زخارف لحيوانات متقابلة مزدوجة أو منفردة ، ويظهر فى هذه الزخارف تأثير الفن الصينى (ش ٢٧٣) .

(شكل ٢٧١)

سجادة حريرية مزخرفة بوحدات حيوانية كما يظهر بها آدميين مجنحين ، إيران ، قاشان متحف فكتوريا والبرت .

(شكل ٢٧٢)

سجادة حريرية مطرزة بخيوط من الذهب والفضة ومؤرخة ١٠١١ هـ – ١٦٠٢ م ، وبها رنك الملك البولندى « سيجسموند الثالث » ، إيران ، العصر الصفوى ، محفوظة حالياً بمتحف ميونخ .

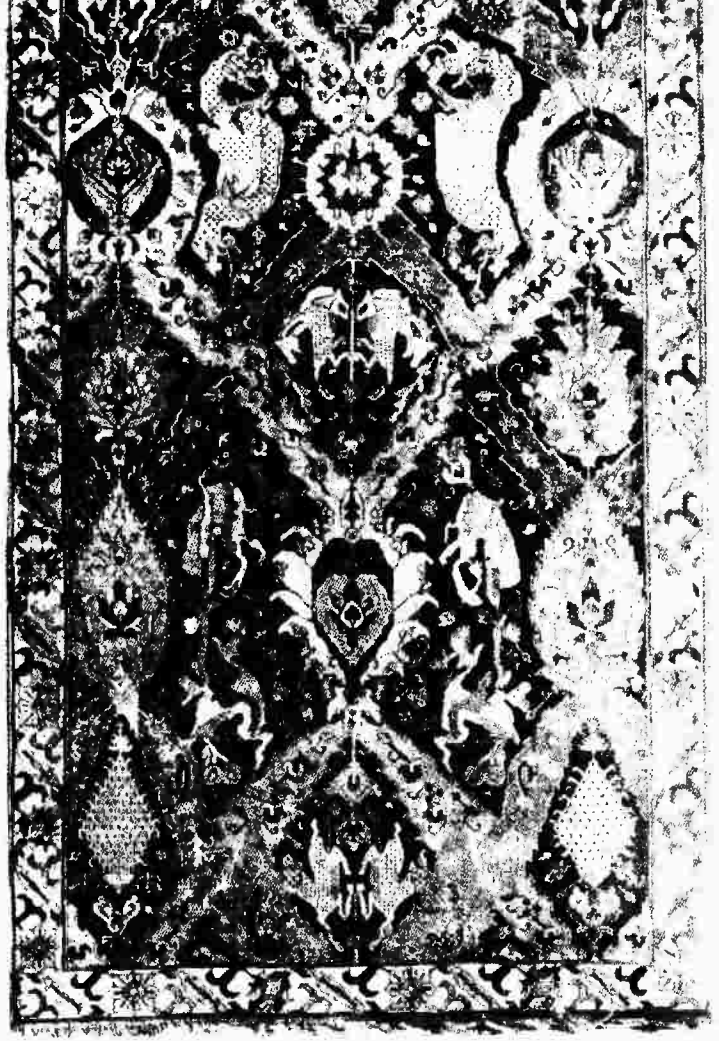

(شكل ٢٧٣)

سجادة من صناعة القوقاز ذات زخارف حيوانية متأثرة بالفن الصيني . القـرن ١٠ هـ — ١٦ م . متحف

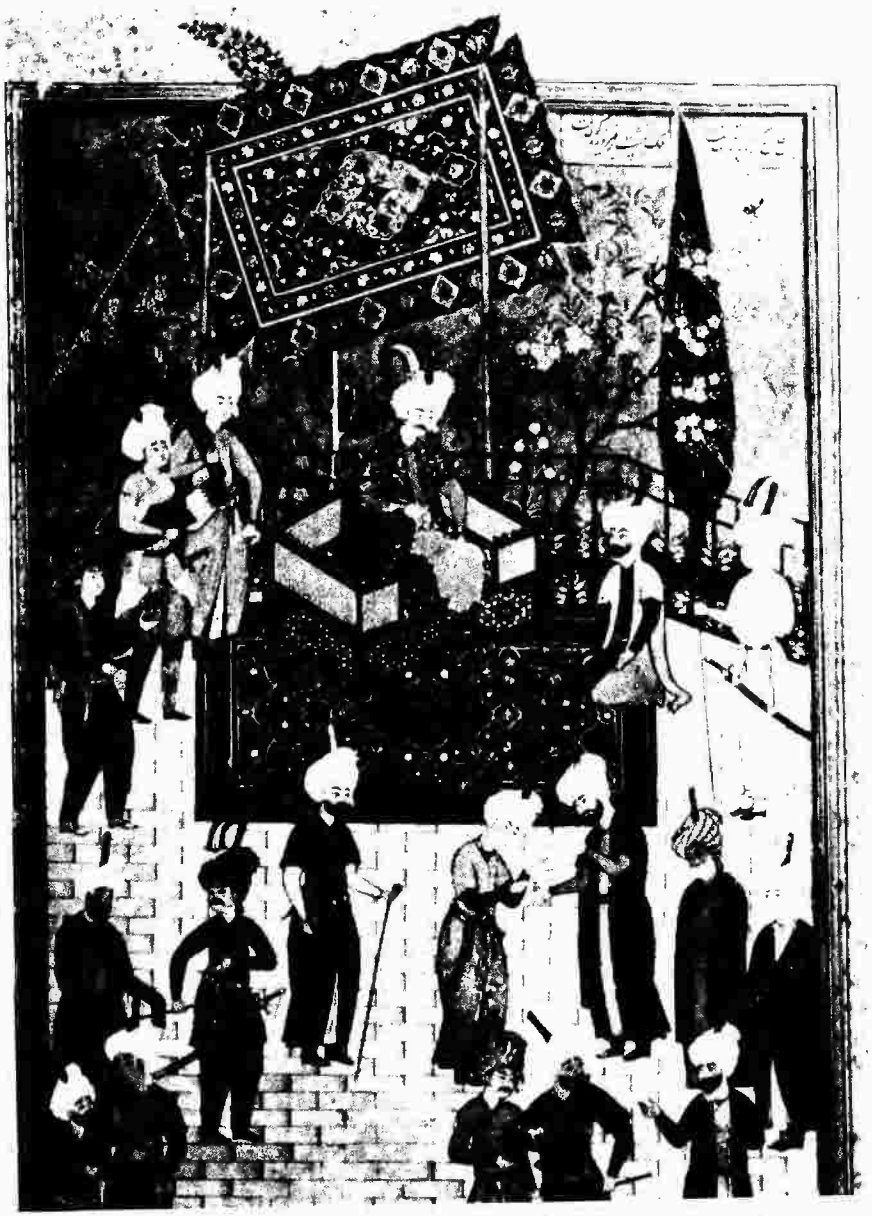

(شكل ٢٧٤)

صورة من مخطوطة المنظومات الخمسة يظهر بها الملك خسرو بين حاشيته عام ٩٢١ هـ — ١٥٢٤ م ، تبريز .

التصوير :

بعد أن تمكن الشاه إسماعيل من السيطرة على هراة فى حوالى عام (٩١٦هـ — ١٥١٠ م) نقل المصورين المشهورين إلى تبريز ، وعين كبيرهم بهزاد رئيساً للمكتبة الملكية فى عام (٩٢٨هـ — ١٥٢٢م) . ويعد بهزاد المؤسس لمدرسة التصوير الصفوية الأولى التى تكونت وازدهرت فى تبريز وقزوين فى غرب إيران فى ظل رعاية الأسرة الصفوية ، حيث قلد مصورو العصر الصفرى الأول طريقة بهزاد التى تميز بها فى رسم الأشجار والأشخاص . ولقد ضمت هذه المدرسة « سلطان محمد » و« شيخ زادة » و « أقامرك » و« مظفر على » و« مير سيد على » و « محمدى » و« سيد ميرنقاش » و « شاه محمد » و « دوست محمد »، ولما كان هؤلاء المصورون متأثرين بأساليب المدرسة التيمورية ، نجد أن الإنتاج الأول لمدرسة التصوير الصفوية الأولى فى تبريز ، كان استمراراً لما كان سائداً فى هراه مع شىء بسيط من التغيير فى درجات الألوان التى زاد هدوؤها .

ولقد ارتفع شأن التصوير فى تبريز فى عهد الشاه طهماسب الذى كان ميالا للشعر والفنون الجميلة ، كما كان يهوى التصوير ويرغب فى أن يصبح هو نفسه مصوراً ، وأعجب بأسلوب بهزاد الذى كان سائداً فى تبريز وكان والده الشاه قد أرسله إلى هراه ليتعلم فيها ، فتتلمذ على يد المصور سلطان محمد كما اتصل بالمصور بهزاد .

ويظهر تأثير مدرسة هراه على أسلوب مدرسة تبريز فى المخطوطات التى صورت للشاه طهماسب بتبريز فى الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادى . وأغلب هذه المخطوطات كانت قد نسخت فى هراه ثم نقلت إلى تبريز قبل إتمام تصويرها ، وهناك أكملها مصورو مكتبة الشاه طهماسب . ويتجلى أسلوب هذه المدرسة الصفوية الأولى فى مخطوطة «المنظومات الخمس» لنظامى الموجودة حالياً بمتحف المتروبوليتان بنيويورك . ولقد كتب هذه المخطوطة الخطاط السلطانى سلطان محمد نور عام (٩٣١هـ — ١٥٢٥ م) واشترك فى صورها الخمسة عشر ، بعض مصورى مكتبة الشاه طهماسب[1] . وتعد صور هذه المخطوطة آية فى الجمال .

---

(١) كانت المخطوطة تحتوى أصلا على ست عشرة صورة غير مضاة ، فقدت إحداها . ويختلف العلماء فى نسبة هذه الصور إلى شيخ زاده أو أقامرك . انظر Binyon Wiskinson & Grauy فى كتاب Persian Miniature لندن ، ١٩٣٣ ، ص ١٠٨ ، وكذلك

Sakisian A. „La miniature Persane du 12e au 17e siècle (Paris-Brussels, 1929).

ويتضح أسلوب المدرسة الصفوية الأولى فى إحدى صور المخطوطة السابقة التى يظهر فيها الملك خسرو بين رجال حاشيته من أمراء وكبار الدولة موزعين فى الصورة بمهارة[١] ومن خلفهم حديقة جميلة مزهرة (ش ٢٧٤) . وتدل الملابس الفخمة التى يرتديها الرجال على مظاهر الأبهة والعظمة التى عاشها البلاط الصفوى فى عهد الشاه طهماسب ، كما يظهر فى هذه الصورة لباس الرأس الذى تميزت به صور العصر الصفوى فى عهد هذا السلطان ، ويتكون من عمامة ترتفع بضيق وتبرز من أعلاها عصا صغيرة حمراء ؛ ولقد تغير لون العصا فى بعض الحالات ، وربما كانت هذه العمامة فى أول الأمر شعاراً على الأسرة الصفوية وأتباعها ، حيث ندر ظهور هذا النوع من العمائم فى الصور التى تمت بعد وفاة الشاه طهماسب ، ويتضح من هذه الصورة التطور الذى طرأ فى أسلوب المدرسة الصفوية الذى أدخله المصورون فى ذلك العهد ، حيث لا يهتم المصور بزخرفة زى الأشخاص بالألوان المتعددة كما رأينا من قبل فى صور بهزاد فى العصر التيمورى . فتظهر الأشخاص فى الصور الصفوية غالباً بملابس ملونة بلون واحد ، وإذا كانت هناك تفاصيل فهى تظهر على هيئة بقع لونية .

ولقد ذاعت شهرة أقامرك وسلطان محمد فى عهد المدرسة الصفوية الأولى . ويميل بعض الباحثين إلى نسبة إحدى صور المخطوطة السابقة إلى سلطان محمد ، وهى التى تمثل «خاقاناً» يستقبل «إسكندر» فى مجلس شراب وطرب (ش ٢٧٥) . ويظهر فى هذه الصورة أسلوب جديد فى شكل العمامة الصفوية التى ارتفعت بضيق كما قل الاهتمام بتسجيل تفاصيل الملابس وزخرفتها . ويحتمل أن يكون هذا الأسلوب الجديد قد أدخله سلطان محمد .

ويتضح تأثر مدرسة تبريز بالأسلوب التيمورى فى صور ديوان « مير على شر » الموجود بالمكتبة الأهلية بباريس والمؤرخ عام ١٥٢٦م . حيث يظهر جمال الخطوط الزخرفية والألوان الزاهية فى منظر يصور إسكندر مع رجاله فى البحر (ش ٢٧٦) .

ومن الأعمال الفنية الشهيرة التى يتضح فيها الأسلوب الجديد الذى ظهر فى

---

(١) ينسب بعض الباحثين هذه الصورة إلى المصور شيخ زاده .

انظر Reice D.T ، كتاب Islamicpainting أدنبره ١٩٧١ ص ١٤٧ .

(شكل ٢٧٥)

صورة من مخطوطة المنظومات الخمسة تصور خاقان يستقبل إسكندر ، ٩٢١ هـ – ١٥٢٤ م ، تبريز ، إيران ، (تنسب إلى المصور سلطان محمد) العصر الصفوى ، حالياً بمتحف المتروبوليتان بنيويورك .

(شكل ٢٧٦)

مخطوط ديوان شعر ، تصور إسكندر مع رجاله فى البحر ، ٩٢٣ هـ – ١٥٢٦ م ، (تنسب إلى شيخ زاده) العصر الصفوى فى تبريز ، إيران ، حالياً بالمكتبة الأهلية بباريس .

(شكل ٢٧٧)

صورة من مخطوط المنظومات الخمسة ، تمثل خسرو يفاجىء شيرين ، ٩٤٦ هـ ، ٩٤٩ هـ – ١٥٣٩ م ، ١٥٤٣ م (تنسب إلى سلطان محمد) العصر الصفوى الأول فى تبريز بإيران ، حالياً بالمتحف البريطانى .

(شكل ٢٨٠)

صورة سيدة جالسة وبيدها زهور – إيران ، أوائل القرن ١٠ هـ – ١٦ م حالياً بمجموعة كارتييه بباريس .

(شكل ٢٧٩)

صورة من مخطوط المنظومات الخمسة تصور كسرى أنو شروان مع وزيره يتصنطان على البومتين ، المدرسة الصفوية الأولى فى تبريز ، ٩٤٦ – ٩٤٩ هـ ، ١٥٣٩ – ١٥٤٣ م ، بلاط الشاه طهماسب ، (وتنسب إلى أقاميرك) ، إيران حالياً بالمتحف البريطانى .

(شكل ٢٧٨)

صورة من مخطوط المنظومات الخمسة ، تصور قصة المعراج ، المدرسة الصفوية الأولى فى تبريز ، ٩٤٦ – ٩٤٩ هـ ، ١٥٣٩ – ١٥٤٣ م ، بلاط الشاه ، طهماسب وتنسب إلى السلطان محمد ، إيران ، حالياً بالمتحف البريطانى .

المدرسة الصفوية الأولى ، مخطوط آخر من المنظومات الخمسة كتبه الخطاط محمود النيشابورى فى تبريز بين عامى ٩٤٦و٩٤٩هـ (١٥٣٩ – ١٥٤٣ م) للشاه طهماسب ، ويوجد حاليا بالمتحف البريطانى بلندن . ويحتوى هذا المخطوط على أربع عشرة صورة اشترك فى تصويرها أعلام المدرسة الصفوية الأولى . سلطان محمد وأقاميرك ، وميرزا على ميراك ومير مصور ومير سيد على ومظفر على ، بالإضافة إلى بعض المصورين غير المعروفين . وتعد صور هذه المخطوطة من أعظم ما أنتج فى فن التصوير الإيرانى .

ومن الصور التى تنسب إلى سلطان محمد فى هذه المخطوطة صورة تمثل « خسرو » يفاجىء شرين وهى تستحم (ش ٢٧٧) ، ويتضح بها الأسلوب الذى يتميز به سلطان محمد فى رسم الصخور الجميلة المائلة ويتضح التغيير الذى أدخله سلطان محمد على أسلوب المدرسة الصفوية ، بمقارنة هذه الصورة مع صورة للموضوع نفسه صورت فى العصر التيمورى (ش ١٨٨) ، حيث تزداد عناية المصور بالأشكال الآدمية كما تكثر الصخور فى المناظر الجبلية . ومن صور المخطوطة ، التى تنسب إلى سلطان محمد ، صورة العجوز والسلطان سنجار ، وصورة « قصة المعراج » فنرى «النبى ﷺ » ممتطيًا البراق فوق السحب وأمامه جبريل ومن حوله الملائكة (ش ٢٧٨) . وتتميز هذه الصورة بالثروة الزخرفية وباستخدام مجموعة كبيرة من الألوان الجميلة المتناسقة . كما نلاحظ خيال المصور فى رسمه الأرض التى تركها النبى وحولها غلاف كروى أبيض . ونلاحظ فى رسم صورة النبى عليه السلام ما اتبعه فنانو العصر التيمورى من إخفاء وجهه .

ومن أهم المصورين المعروفين الذين اشتركوا فى صور هذه المخطوطة ، «أقامرك» الذى نشأ فى أصفهان ثم هاجر منها إلى هراه وتتلمذ على يد « بهزاد » ، وعمل ببلاط الشاه « طهماسب » فى عام ٩٥٧هـ (١٥٥٠م) . ولقد قام برسم خمس صور من المخطوطة السابقة . وتدل هذه الصور على أنه بالرغم من تأثر « أقامرك » بأستاذه « بهزاد » ، إلا أننا نلاحظ تفوقه فى رسم المناظر الطبيعية بطابع زخرفى وقلة إجادة الرسوم الآدمية . ويتضح أسلوب هذا الفنان فى إحدى الصور (ش ٢٧٩)[1] .

---

(١) ينسب الدكتور ا . جروبه. هذه الصورة إلى سلطان محمد انظر Grube ماقبله ش ٧٨– كذلك انظر الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى زكى حسن ش ٤٩ كما تنسب أحياناً إلى أقاميرك

ومن مصورى تبريز المرموقين الذين اشتركوا فى المخطوطة السابقة « مير سيد على » ، وكان والده مصوراً ، ورافقه إلى تبريز وهو صغير ليتعلم فن التصوير على يد بهزاد . وتتميز صوره، فى المنظومات الخمسة باهتمامه برسم موضوعات من حياة الريف والمدن بتفاصيل دقيقة وأسلوب واقعى ، وأحسن صوره هى التى صور منها الحياة فى المعسكرات ، وكان يجمع أحياناً منظرين فى الصورة الواحدة . ويتضح أسلوبه فى صورة من قصة « ليلى والمجنون » فنرى فى هذه الصورة عجوزاً تقود المجنون أسيراً إلى خيمة ليلى [لوحة ملونة رقم ١٢] ويظهر الأسلوب الشعبى الواقعى ، فى رسوم الأولاد الذين يقذفون المجنون بالأحجار ، وفى النساء اللاتى يقمن بأعمالهن المنزلية فى الخيام . ولم تقتصر نشاط هذا الفنان على إيران ، بل نجد أنه انتقل إلى الهند مع « همايون » الإمبراطور الهندى المغولى حيث أسس مدرسة تصوير هندية فى بلاط الهند ، تأثرت بأسلوب المدرسة الإيرانية . وكان مير سيد على قد تقابل مع همايون الذى لجأ إلى بلاط الشاه طهماسب بعد أن فقد عرشه عام ٩٥١هـ (١٥٤٤م) .

ويتضح أسلوب مدرسة الشاه طهماسب فى أوائل العصر الصفوى فى أجمل مخطوطات العصر الصفوى وهى مخطوطة الشاهنامة التى كتبت للشاه فى تبريز ، وتحمل بعض صورها تاريخ ٩٣٤هـ (١٥٢٧–١٥٢٨م) . وتوجد حالياً بأمريكا ، وتعد من أكبر المخطوطات المصورة حجماً ، حيث تحتوى على مائتين وخمس وسبعين صورة نجح متحف المتروبوليتان فى الحصول على ثمان وسبعين صورة منها ، وتعرف باسم شاهنامة « هوتن » نسبة إلى صاحبها . وتعد صور هذه المخطوطة من أبدع وأتقن ما قام بعمله المصورون فى العصر الصفوى الأول ، وتجمع صورها شتى الموضوعات التى طرقها المصورون فى قصص الشاهنامة ، كما تظهر بها المميزات الفنية للمدرسة الصفوية الأولى من زخرفة إلى دقة فى الرسم ؛ واشترك فى تصوير هذه المخطوطة نخبة من أمهر مصورى بلاط الشاه طهماسب .

وتتميز بعض صور هذه المخطوطة ببعدها عن الأسلوب «الطاهماسبى» الذى وجد فى المخطوطات السابقة ، وربما بدئ فى كتابة هذه المخطوطة فى عهد الشاه إسماعيل لإهدائها للأمير شاه طهماسب عند عودته من هراه عام ٩٢٩هـ (١٥٢٢م)

حيث لا يظهر بها أى أثر لأسلوب مدرسة بهزاد، وربما تم رسم هذه الصور فى تبريز قبل أن يتولى بهزاد رئاسة المكتبة الملكية فى عام ٩٢٩هـ (١٥٢٢م). وينسب أسلوب هذه الصور إلى المصور سلطان محمد فى أوائل حياته ويتضح هذا الأسلوب فى صورة توضح فترة من حياة البطل «تاموراه» وهو يهزم الشياطين [لوحةملونة رقم١٣] ونلاحظ فى هذه الصورة بعض عناصر من الزخارف النباتية الصينية وأشكال السحب وهى من العناصر التى كانت مفضلة فى بلاط التركمان .

ويرجع الفضل إلى مصورى بلاط الشاه طهماسب فى إنتاج عدد من التصاوير الفردية إلى جانب صور المخطوطات . وتصور هذه الصور غالبًا شخصيات الأمراء والأميرات (ش ٢٨٠) . ومن أشهر مصورى الصور الفردية « شاه محمد » و « سلطان محمد » و « مير نقاش » .

ولقد ظهرت مميزات بعض مصورى هذه المدرسة بعد ما أتيح لهم أن يرحلوا إلى خارج إيران ، مثل عبد الصمد الشيرازى الذى رحل إلى الهند وهوشاب واشترك مع مير سيد على فى تأسيس المدرسة الهندية المغولية . كما رحل بعضهم إلى تركيا ومن بينهم كمال التبريزى وشاه قولى .

وبالرغم من أن عهد الشاه طهماسب فى تبريز كان زاخراً بإنتاج المخطوطات المصورة، إلا أنه لوحظ أن تصاوير النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى بها شيىء من الاضمحلال كما يتغير أسلوبها. ويبدأ ظهور هذا التغيير بعد أن نقل الشاه طهماسب مركز الحكم إلى مدينة قزوين فى عام ٩٥٥هـ (١٥٤٨م) لبعدها عن الحدود التركية . ويرجع سبب هذا التغيير إلى انصراف الشاه عن تشجيع فن التصوير واهتمامه بالحياة الدينية .

ويتضح التغير التدريجى الذى طرأ على أسلوب مدرسة التصوير الصفوية الأولى بعد منتصف القرن ، فى مخطوطة « العروش السبعة » للشاعر جامى التى صورت فى مدينة مشهد ، وهى محفوظة حاليًا بمتحف فرير بواشطن . وتنسب هذه المخطوطة إلى بلاط الأمير إبراهيم ميرزا ابن أخى الشاه طهماسب فى الفترة (٩٦٤ — ٩٧٣هـ) (١٥٥٦م — ١٥٦٥م) . وتوضح إحدى صور هذه المخطوطة (ش ٢٨١) بدء ظهور الأسلوب الصفوى الجديد حيث

تختفى العمامة التى تبرز منها العصا القصيرة . كما يتغير غطاء الرأس الذى تلبسه السيدات .

انتشر هذا الأسلوب الجديد بين مصورى مدرسة قزوين ، وكان المصورون فى تلك الفترة يقلدون موضوعات صور المدرسة الصفوية الأولى فى تكرار تنقصه الدقة . ويظهر ذلك واضحاً فى مخطوطة « جارشا سب نامه » أو حياة جارشاسب الموجودة بالمتحف البريطانى . ولقد كتب هذه المخطوطة إمام الحسينى وصورت فى قزوين عام ٩٨١هـ (١٥٧٣م) ، ولقد اشترك فى صور هذه المخطوطة المصورون مظفر على وصادق وزين العابدين . وترتبط صور هذه المخطوطة بين خصائص مدارس هراه وتبريز وقزوين ، وذلك لأن مظفر على كان تلميذ المصور « بهزاد » وابن أخيه ، كما أن « زين العابدين » الذى التحق بمكتبة الشاه « إسماعيل الثانى » كان حفيد « سلطان محمد » . « ويظهر تأثير بهزاد على تلميذه » مظفر على » فى إحدى صور هذه المخطوطة (ش٢٨٢) التى نرى فيها الشاعر فردوس مرسوماً مع شعراء البلاط على خلفية من الحدائق الزخرفية الجميلة .

ويرتبط هذا الأسلوب الذى ظهر فى الفترة (٩٧٨ — ٩٨٨هـ) (١٥٧٠ — ١٥٨٠م) فى العصر الصفوى ، بالمصور « محمدى » الذى نشأ فى هراه وتألق نجمه فى عهد المدرسة الصفوية الأولى وكان آخر مصورى مدرسة تبريز العظام ، ويرجح أنه كان ابن المصور « سلطان محمد » . ويرجع إليه الفضل فى ازدياد الإقبال على تكليف المصورين بعمل صور مستقلة تجمع فى ألبومات مع بعض كتابات توضيحية[1] . ولقد اشتهر محمدى برسم المناظر الريفية ، ومن أجمل الصور التى تحمل توقيعه صورة بمتحف اللوفر ويرجع تاريخها إلى عام ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) (ش ٢٨٣) ، نرى بها رسماً لمنظر من الحياة اليومية فى الريف . ولقد استخدمت ألوان قليلة فى هذه الصورة . ولم تكن معظم صور محمدى ملونة بل كان يكتفى ببعض الألوان يلون بها الصخور والحيوانات .

وينتقل أسلوب قزوين الذى ارتبط بمحمدى إلى شيراز ، ويتضح ذلك فى

---

(١) بدأ محمدى فى عمل الصور الفردية وهو فى هراه فى عام ١٥٢٧ واستمر فى ذلك حتى عام ١٥٨٤ — انظر Rice ، ما قبله ص ١٥٠ .

(شكل ٢٨١)

صورة من مخطوط الشاعر « جامى » العروش السبعة ، صورت فى بلاط إبراهيم ميرزا بمشهد ، حوالى منتصف القرن ١٠ هـ — ١٦ م .

(شكل ٢٨٢)

صورة من مخطوط « جارشاسب نامه » تصور فردوسى مع شعراء البلاط ، قزوين ٩٨١ هـ — ١٥٧٣ م ، (تنسب إلى مظفر على) ، العصر الصفوى ، إيران ، توجد حالياً بالمتحف البريطانى

(شكل ٢٨٣)

صورة مستقلة لمنظر فى الريف من عمل المصور « محمدى » تبريز ، ٩٨٦ هـ — ١٥٧٨ م ، حالياً بمتحف اللوفر ، باريس .

(شكل ٢٨٤)

صورة من مخطوط المنظومات الخمسة
للأمير خسرو ، أسلوب محمدى ،
شيراز ، ٩٨٣ هـ — ١٥٧٥ م ،

(شكل ٢٨٥)

مخطوط تحفة الأحرار لشاعر « جامى » .
تصور يوسف على عرشه ، ٩٥٤٠ هـ —
١٥٤٨ م ، مدرسة بخارى ، مكتبة
شستر بيتى ، بأدنبره .

إحدى صور مخطوط المنظومات الخمسة الخاصة بالأمير خسرو (ش ٢٨٤) ونلاحظ بها اختلاف شكل لباس رأس السيدات .

وفى خلال القرن العاشر الهجرى أى السادس عشر الميلادى ، ازدهرت فى بخارى مدرسة تصوير معاصرة للمدرسة الصفوية الأولى كان أسلوبها متأثراً بمدرسة بهزاد . ويرجع ذلك إلى انتقال عدد كثير من الخطاطين والمصورين من هراه إلى بخارى بعد سقوط العاصمة فى يد الأزبك عام ٩١٣هـ (١٥٠٢م) . ولقد تكررت هجرة المصورين إلى بخارى مرة ثانية حين استولى الشاه « إسماعيل » على هراه فى أوائل العصر التيمورى ، ثم هاجر من بقى فى المدينة من المصورين إلى بخارى بعد أن استرلى ملرك الأزبك مرة ثانية على هراه ونهبوها عام ٩٤١ هـ (١٥٣٥م) . لذلك نجد أن مدرسة تصوير بخارى قد قامت على أكتاف هؤلاء المصورين الذين كانوا متأثرين بأساليب المدرسة التيمورية التى ظهرت فى مدرسة هراه ، لدرجة يصعب معها التفرقة بين مدرسة هراه والإنتاج الأول لمدرسة بخارى .

ومن أشهر المخطوطات التى يتضح فيها ذلك الأسلوب مخطوطة «تحفة الأحرار» للشاعر جامى ، كتبت فى بخارى لمكتبة الملك عبد العزيز الشيبانى (١٥٤٠—١٥٤٨م) ملك الأزبك فى عام ٩٥٥هـ (١٥٤٨م) ، وهى موجودة حاليا بمكتبة دبلن بإيرلندا . ويتضح التأثر بأساليب بهزاد فى إحدى الصور التى تمثل منظراً من قصة يوسف (ش ٢٨٥) . ونلاحظ فى صور هذه المدرسة أن الرجال يلبسون عمائم تتكون من قلنسوة مرتفعة يلتف حولها شاش العمامة . ومن أشهر مصورى هذه المدرسة محمد مذهب تلميذ الخطاط والمصور مير على .

وبالرغم من اهتمام عباس بتجميل العاصمة الجديدة فى أصفهان إلا أن فن تصوير المخطوطات طرأ عليه تغيير كبير فى عهده وفى عهد من جاء بعده ، وأخذ يتدهور فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى لانصراف الحكام والأمراء عن تكليف المصورين بتصوير المخطوطات ، مما تسبب فى قلة عددها .

ولقد انتقلت آخر مراحل مدرسة تصوير قزوين إلى أصفهان العاصمة الجديدة فى عهد الشاه عباس وعرفت باسم المدرسة الصفوية الثانية . واكتفى المصورون فيها بتقليد الصور المرسومة فى المخطوطات القديمة تقليداً لم يصيبوا فيه نجاحاً أو توفيقاً .

إلا أننا نجد فى بعض المخطوطات التى صورت فى أوائل عهد الشاه عباس دقة وبراعة ، كما يظهر فى بعضها تأثير مدارس التصوير السابقة إلى جانب الأسلوب الجديد . وأحسن مثل لذلك مخطوطة الشاهنامه الموجودة حالياً بمكتبة تشستر بيتى بلندن ، والتى صورت غالباً للشاه عباس بعد مدة وجيزة من توليه الحكم فى الفترة ما بين عامى (٩٩٩ — ١٠٠٩هـ) (١٥٩٠ — ١٦٠٠م) . ويتضح ذلك فى إحدى صور المخطوطة التى تصور « مقابلة فريدون لعائلته » (ش ٢٨٦) . ويظهر من دراسة هذه الصورة تأثر المصور بأسلوب مدرسة هراه القديم الذى تميز بالدقة فى تسجيل التفاصيل الدقيقة التى تظهر فى العمائر والأشخاص .

ويمكن اعتبار هذه المخطوطة حلقة الاتصال بين أسلوب المدرسة الصفوية الأولى وطراز المدرسة الصفوية الثانية . ولقد اشترك فى هذه المخطوطة المصوران زين العابدين ورضا الذى يمثل الأسلوب الصفوى الجديد ، كما أضاف المصور محمد زمان صورتين إليها فى عام (١٠٨٧هـ — ١٦٧٦م) . ويمكن اعتبار هذه المخطوطة من أبدع الآثار الفنية التى تمت فى العصر الصفوى الثانى ، كما أن أسلوبها لا يقل عن المستوى الموجود فى صور المخطوطات الإيرانية الشهيرة .

ولقد تميزت المدرسة الصفوية الثانية بأساليب جديدة فى فن التصوير ظهرت فى مخطوطات القرن السابع عشر الميلادى ، حيث قل عدد الأشخاص المرسومين فى الصورة ، وأصبح المصور يكتفى أحياناً برسم شخص أو شخصين بقد أهيف وخطوط منحنية وفى أوضاع متكلفة . وتتميز صور عهد الشاه عباس بظهور عمائم كبيرة ذات ريش وأزهار . كما شاع فى تلك الفترة طريقة رسم الصور الكبيرة المستقلة لتزيين الجدران . ولقد تأثر المصورون الإيرانيون فى هذه الصور بأساليب الفن الأوربى الذى تعرفوا عليه من الصور الأوربية التى كان يحملها التجار أو المبشرون .

وينسب هذا الأسلوب الجديد فى التصوير الذى ظهر فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى إلى المصور والخطاط رضا عباس الذى كان نشطاً فى إنتاجه فى الفترة بين (١٠١٢ — ١٠٤٥هـ) (١٦٠٣ — ١٦٣٥م) .

يختلف كثير من العلماء على صاحب الصور التى وجد بها التوقيع « رضا » أو « اقارضا » (ش ٢٨٧) أو رضا عباس ، ويعتقد غالبيتهم أنه لم يكن هناك

(شكل ٢٨٦)

صورة من مخطوط الشاهنامة تصور فريدون مع أولاده ، ٩٩٩-١٠٠٩ هـ ١٥٩٠ - ١٦٠٠ م ، المدرسة الصفوية الثانية ، مكتبة شستر بيتي بأدنبره .

(شكل ٢٨٧)

صورة من قصص الأنبياء تصور موسى وعصاه التي تحولت إلى تنين ، بيد المصور «أقارضا» ٩٩٩-١٠٠٩ هـ ١٥٩٠ - ١٦٠٠ م ، المدرسة الصفوية الثانية ، إيران ، حاليا بالمكتبة الأهلية بباريس .

(شكل ٢٨٨)

صورة فردية لراعي من تصوير المصور «رضا عباسي» ، ١٠٤٢هـ - ١٦٣٢م ، المدرسة الصفوية الثانية .

(شكل ٢٨٩)

صورة فردية لتابع يحمل قنينة بيد.
المصور «رضا عباسى »، ١٠٤٠ هـ -
١٦٣٠ م، المدرسة الصفوية الثانية،

(شكل ٢٩٠)

رسم تخطيطى من عمل المصور « معين »
يرسم أستاذه « رضا عباسى » ،
المدرسة الصفوية الثانية ، ايران

(شكل ٢٩١)

جلدة كتاب مزينة بزخارف العصر
الصفوى ، إيران .

ثلاثة مصورين أو اثنان باسم رضا[1] ، بل هو مصور واحد غير فى طريقة توقيعه . ومن الصور الجميلة التى توضح أسلوب رضا عباس وتحمل اسمه ، صورة الراعى (ش٢٨٨) التى رسمها عام (١٠٤١هـ — ١٦٣٢م) ، ويتضح فى هذه الصورة الخطوط المنحنية اللينة التى تميزت بها المدرسة الصفوية الثانية .

ومن الصور التى وجد عليها إمضاء رضا عباس وشك بعض الباحثين فى نسبتها له ، صورة شاب من بلاط الشاه يرتدى سروالا حريريًا منسوجاً بخيوط من الذهب (ش ٢٨٩) ، موجودة حاليًا فى مكتبة تشستر بيتى بدبلن . ويتضح فى هذه الصورة شكل الرجال المخنثين الذين يصعب أحيانا التمييز بينهم وبين الفتيات ، كما نلاحظ اعتناء المصور برسم تفاصيل الزى .

ولقد ساد أسلوب رضا عباس فى تصاوير أصفهان فى النصف الثانى من القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر الميلادى . ومن المصورين الذين ذاع صيتهم فى هذه المدرسة الفنية ، المصورون « محمد يوسف » و« حيدر نقاش » و « محمد تبريزى » و « معين مظفر » و« محمد على تبريزى » . وكان « معين » من أبرز مصورى هذه المدرسة وظهرت له مهارة خاصة فى رسم وجوه الأشخاص ، ويتضح ذلك فى إحدى الصور التى رسم فيها أستاذه رضاعباس (ش ٢٩٠) . وتظهر فى هذه الصورة الخطوط المنحنية التى تميز بها أسلوب رضا عباس .

ولقد تدهور أسلوب الفن الإيرانى فى حكم الشاه عباس الثانى (١٠٥٢—١٠٧٧هـ (١٦٤٢ — ١٦٦٦م) الذى كان معجبا بالفن الغربى فأرسل المصور محمد زمان ليدرس فن التصوير فى روما ، وأدخل هذا المصور كثيراً من الأساليب الأوربية على مدرسة التصوير الإيرانية عندما رجع عام ١٠٨٧ هـ (١٦٧٦م) .

ازداد تأثر المصورين الإيرانيين بالأساليب الغربية فى القرن الثامن عشر الميلادى وتخلوا عن كثير من الأساليب الإيرانية التى تميزت بها مدارس التصوير السابقة . ويظهر ذلك فى أعمال مصورى هذه الفترة أمثال محمد بكير وغيره . وكان هذا بدء اضمحلال فن التصوير القومى فى إيران .

---

(١) انظر رأى بعض العلماء فى ذلك Stchoukin. Les Peinture des Manuscrit de Shah Abbas Ier. a la fin des Safavides Paris 1964 pp. 85 - 13 .

التذهيب والتجليد :

يتميز العصر الصفوى بازدهار فنون الكتاب « الكتابة ، التذهيب ، التصوير والتجليد » واشتهرت مدينتا تبريز وقزوين بصناعة الجلود الفاخرة المزخرفة بمناظر مشابهة لما تحويه المخططات ، وكانت هذه الزخارف تلون بألوان اللاكر (ش ٢٩١).

تظهر فى أواخر القرن الثامن عشر فى إيران نهضة فنية جديدة لفن التصوير فى عهد الملك فتح على شاة (١٢١١ — ١٢٥٠هـ) (١٧٩٧ — ١٨٣٤م) ، أحد ملوك أسره كاجار التركية التى حكمت إيران فى الفترة من (١١٩٣ — ١٣٤٥هـ) (١٧٧٩—١٩٠٦م). وكان هذا الملك من مشجعى فن الكتاب والتصوير ، الا أن أغلب هذه الصور كانت صوراً شخصية زيتية يتضح من دراستها أن أسلوبها أوربى أكثر منه إيرانيًّا . .

يتضح من دراسة الفن الإيرانى الصفوى،اعتماد الفنان المعمارى إلى حد كبير على إحداث تأثير زخرفى بألوان جميلة فى عمائره ، ولقد توصل إلى ذلك بتغطية السطوح بالبلاطات الخزفية والفسيفساء . كما تميز ذلك العصر أيضاً بازدهار صناعة السجاجيد ذات الزخارف المتعددة ، وانتشرت هذه الصناعة فى مراكز كثيرة . ولقد تميزت مدرسة التصوير فى ذلك العهد بارتفاع شأن المصورين الذين اهتموا بتوقيع أسمائهم على الصور التى قاموا بعملها .